مهرجان القراءة للجميع



مكتبة الأسرة

د. أحمد عمر هاشم

الصيام فى الإسلام





الهيئة المصرية العامة للكتاب

الصيام فى الإسلام

لوحة الغلاف

اسم العمل الفنى : رمضان كريم
التقنية : ألوان مائية وحبر صينى على ورق
المقاس : ٢٥ × ٢٥ سم

محمد بغدادى

فنان مصرى ومصمم جرافيكى، أشرف فنياً على العديد من المجلات أهمها مجلة صباح الخير والشرقية والغد، وعمل مديراً لتحرير مجلة روزاليوسف، بالإضافة إلى كونه شاعراً متميزاً . وفى اللوحة المنشورة على الغلاف قام الفنان تزويقها وزخرفتها بأساليب مختلفة، فتارة يعتمد الخط العربى كعنصر زخرفى، وأخرى يستخدم الزخارف النباتية، ويتوسط اللوحة رسم تعبيرى موشى بالزخارف، فى الأرضية نقاط وردية اللون متجمعة كأنها الورود، وفى الأعلى نقاط بيضاء اللون متناثرة كأنها النجوم، وبينهما البيوت البسيطة التى تقترب من شكل المساجد، يتوسطها مسجد ذى قبة ومئذنة.

محمود الهندى

على سبيل التقديم :

كان الكتاب وسيظل حلم كل راغب فى المعرفة واقتناؤه غاية كل متشوق للثقافة مدرك لأهميتها فى تشكيل الوجدان والروح والفكر، هكذا كان حلم صاحبة فكرة القراءة للجميع ووليدها «مكتبة الأسرة» السيدة سوزان مبارك التى لم تبخل بوقت أو جهد فى سبيل إثراء الحياة الثقافية والاجتماعية لمواطنيها.. جاهدت وقادت حملة تنوير جديدة واستطاعت أن توفر لشباب مصر كتاباً جاداً وبسعر فى متناول الجميع ليشبع نهمه للمعرفة دون عناء مادى وعلى مدى السنوات السبع الماضية نجحت مكتبة الأسرة أن تتربع فى صدارة البيت المصرى بثراء إصداراتها المعرفية المتنوعة فى مختلف فروع المعرفة الإنسانية.. وهناك الآن أكثر من ٢٠٠٠ عنواناً وما يربو على الأربعين مليون نسخة كتاب بين أيادى أفراد الأسرة المصرية أطفالاً وشباباً وشيوخاً تتوجها موسوعة «مصر القديمة» للعالم الأثرى الكبير سليم حسن (١٨ جزء). وتنضم إليها هذا العام موسوعة «قصة الحضارة» فى (٢٠ جزء).. مع السلاسل المعتادة لمكتبة الأسرة لترفع وتوسع من موقع الكتاب فى البيت المصرى تنهل منه الأسرة المصرية زاداً ثقافياً باقياً على مر الزمن وسلاحاً فى عصر المعلومات.

د. سمير سرحان



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠١

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(الأعمال الدينية)

الصيام في الإسلام

د. أحمد عمر هاشم

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة الإدارة المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد.

ففى هذا الكتاب بيان لركن من أركان الإسلام، وفريضة من فرائضه، وهى فريضة الصيام، وقد شرع الله سبحانه وتعالى صيام شهر رمضان، وصولا إلى تقوى الله سبحانه وتعالى، كما قال جل شأنه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ *﴾(١).

---

(١) سورة البقرة (١٨٣ ـ ١٨٥).

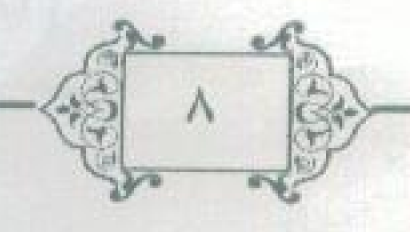
وفى عبادة الصيام تهذيب للنفس وتقوية للإرادة وسمو بالروح فى مدارج التقوى والقرب من رب العالمين.

ولشهر رمضان المبارك منزلته الكريمة فهو الشهر الذى أنزل فيه القرآن ، واختص بليلة القدر، وأعز الله تعالى المسلمين بانتصاراتهم فيه، وفى هذه الصفحات تعريف بالصوم وما يتعلق به من أحكام وما له من آثار تعود بالخير على الفرد والمجتمع والأمة..

وفق الله أمتنا لطاعته وأعزها بنصرها على نفسها وعلى أعدائها ، وبالله التوفيق.

المؤلف

د. أحمد عمر هاشم



تعريف الصيام وبيان حكمته

الصيام في اللغة :

الإمساك، قال الله تعالى إخبارا عن مريم: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا﴾ (١) بمعنى الإمساك عن الكلام.

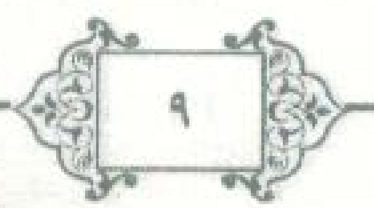
والصيام فى الشرع : الإمساك عن الأكل والشرب وجميع المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بشروط مخصوصة.

وعرفه بعض العلماء : بأنه الإمساك عن شهوتى البطن والفرج فى جميع أجزاء النهار بنية قبل الفجر فيما عدا زمن الحيض والنفاس وأيام الأعياد وفُرض صوم شهر رمضان فى السنة الثانية من الهجرة فى شهر شعبان.

الصيام فى القرآن الكريم :

قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَات فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ

(١) سورة مريم : ٢٦.



تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ * أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلَا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ (١).

ونرى أن الآيات الكريمة قد وضحت أن الصيام فرض على هذه الأمة كما فرض على الذين من قبلنا من أهل الملل السابقة

(١) سورة البقرة : ١٨٣ ـ ١٨٧.

والأمم السالفة، وبينت الآيات الكريمة ثمرة هذه العبادة والحكمة منها.

فى قوله تعالى ﴿ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾.

وليس الصيام للدهر كله، ولا لبعض من الوقت يسير، بل هو أيام معدودات وهى أيام شهر رمضان، ومن طلوع الفجر إلى غروب الشمس، إذ لو كان الصوم للدهر كله أو لليوم والليلة لكان فيه مشقة، ولو كان لبعض اليوم ما كان له من أثر وإنما كان على هذا النحو من الفجر إلى الغروب وأياما معدودات.

وإلى جانب هذه الرحمة فإن الإنسان الذى به مرض ويضره الصوم، والمسافر سفرا طويلاً، ويشق عليه الصوم شرع الله تعالى لكل من المريض والمسافر أن يفطرا ويقضيا أياما بقدر الأيام التى أفطرا فيها رحمة وتيسيرًا.

وأكد الله سبحانه وتعالى اختصاص شهر رمضان بالصوم لأنه الشهر المبارك العظيم الذى أنعم الله تعالى فيه على عباده بأجل نعمة إلهية وهى نعمة نزول القرآن الكريم فيه.

كما وضحت الآيات الكريمة أن الله تعالى قريب يجيب دعوة الداعى فليس بينه وبين عباده حجاب، فعلى المؤمنين أن يدعوا ربهم سبحانه وتعالى وليستجيبوا لربهم بتوحيدهم وإيمانهم ، وعبادتهم



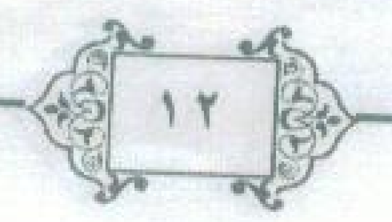
وإخلاصهم، وقد روى [١] أن جماعة من الأعراب سألوا النبى (ﷺ) فقالوا يا محمد أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فأنزل الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾.[٢]

ومن تيسير الله تعالى على عباده فى عبادة الصيام ـ أنه أباح لهم التمتع بزوجاتهم فى ليالى رمضان، كما أباح لهم الطعام والشراب وكان كل هذا محرما عليهم من قبل، فظهرت رحمة الله تعالى وتيسيره على هذه الأمة، ولكنه استثنى من عموم الإباحة وقت الاعتكاف فى المساجد ، لأنه وقت عبادة وانقطاع لله سبحانه وتعالى.

عن البراء بن عازب أنه قال: كان أصحاب محمد (ﷺ) إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسى، وأن قيس بن صرامة الأنصارى كان صائماً وكان يعمل بالنخيل فى النهار فلما حضر الإفطار أتى امرأته فقال لها: عندك طعام؟ قالت: لا ولكن انطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه.. فجاءته امرأته فلما رأته قالت : خيبة لك، فلما انتصف النهار غشى عليه فذكر ذلك للنبى (ﷺ) فنزلت هذه الآية :

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ ففرحوا فرحا شديدًا فنزلت ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ

(١) الطبرى.
(٢) سورة البقرة (١٨٦).



﴿الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ [1] والمراد بالخيط الأبيض بياض النهار، وبالأسود: ظلمة الليل.

وقال عدى بن حاتم رضى الله عنه : لما نزلت : ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض فجعلتهما تحت وسادتى، فجعلت انظر فى الليل فلا يستبين لى، فعدوت على رسول الله (ﷺ) فذكرت له ذلك فقال "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار"[2].

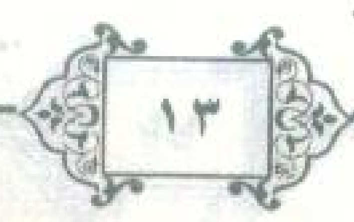
ولعبادة الصيام فضلها كركن من أركان الإسلام، وعبادة من أهم العبادات. عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال : قال الله عز وجل "كل عمل بن آدم له إلا الصيام فإنه لى وأنا أجزى به، والصيام جنة فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب ولا يجهل فإن شاتمه أحد أو قاتله فليقل أنى امرؤ صائم مرتين والذى نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما : إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقى ربه فرح بصومه"[3].

---

(١) رواه البخارى.

(٢) رواه البخارى ومسلم وأبو داود.

(٣) رواه أحمد ومسلم والنسائى.

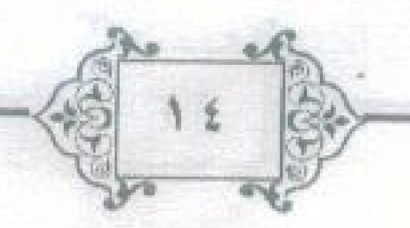


فكل العبادات يمكن أن يكون فيها شىء من الظهور والرياء، لأنها ظاهرة إلا الصوم فإنه عبادة سرية، لا يعلمها إلا علام الغيوب، ومن الممكن للأدعياء وغير الصادقين أن يقولوا إنهم صائمون، ويفطرون فى السر ويتظاهرون أمام الناس بالصوم إلا أنهم إن استخفوا من الناس فلا يخفون على رب الناس الذى يعلم السر وأخفى، ومن هنا كان المؤمنون الصادقون فى صومهم يراقبون ربهم سرا وعلانية، وكانوا بهذا بعيدين عن الرياء، ولهذا أضاف الله تعالى عبادة الصوم إلى نفسه فقال (إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به) فتكفل سبحانه بجزاء الصائمين، فالصوم بعيد عن الرياء، ولم يعظم الكفار فى زمن ما معبودا لهم بالصوم ولم يعبد به غير الله تعالى.

ولمكانة هذه العبادة جعل الله تعالى لأصحابها يوم القيامة بابا خاصا يدخلون منه الجنة، تكريما لهم وجزاء صبرهم على الجوع والعطش، لينعموا بالشبع والرى الذى لا ظمأ بعده إنه باب الريان الذى جاء فى الحديث: عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال: "إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم يقال : أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخرهم أغلق فلم يدخل منه أحد"(١).

---

(١) رواه مسلم.



أركان الصيام

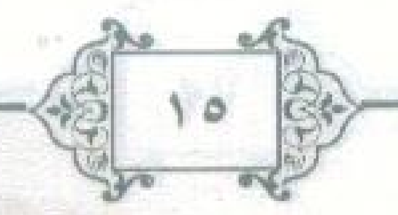
الركن الأول : الإمساك :

ويكون الإمساك عن كل المطعومات والمشروبات، والمعاشرة الزوجية أى (الجماع) من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لقول الله تعالى : ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ (١).

أى أن الله تعالى أباح الأكل والشرب وجماع الزوجة فى أى وقت من الليل من بعد المغرب إلى الفجر، حيث يتبين ضياء الصباح من سواد الليل، وعبر عن ذلك بالخيط الأبيض من الخيط الأسود ورفع اللبس بقوله : ﴿مِنَ الْفَجْرِ﴾

وفيما رواه الإمام البخارى فى صحيحه ـ بسنده ـ عن سهل بن سعد قال : أنزلت : ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ ولم ينزل "من الفجر" وكان رجال إذا

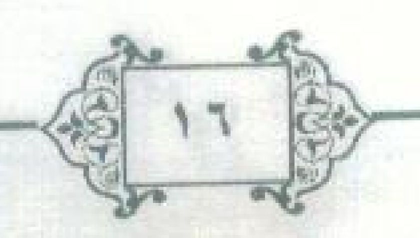
(١) سورة البقرة : ١٨٧.



أرادوا الصوم ربط أحدهم فى رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود فلا يزال يأكل حتى يتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد ذلك "من الفجر" فعلموا إنما يعنى الليل والنهار.

وفيما رواه الإمام أحمد ـ بسنده ـ عن عدى بن حاتم قال : لما نزلت هذه الآية :﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ﴾ عمدت إلى عقالين أحدهما أسود والآخر أبيض، قال : فجعلتهما تحت وسادتى قال: فجعلت أنظر إليهما فلما تبين لى الأبيض من الأسود أمسكت فلما أصبحت غدوت إلى رسول الله (ﷺ)فأخبرته بالذى صنعت فقال : إن وسادك إذن لعريض إنما ذلك بياض النهار من سواد الليل، ومعنى قوله "إن وسادك إذن لعريض أى أن كان ليسع الخيطين : الخيط الأسود والأبيض المرادين من هذه الآية تحتها فإنهما بياض النهار وسواد الليل".

والمراد بركن "الإمساك" فى الصيام هو الإمساك عن كل مفطر من طعام أو شراب أو جماع، وهناك أشياء أخرى غير ما ذكر:



منها : ما يرد الجوف مما ليس بمغذٍ وفيما يرد الجوف من غير منفذ الطعام والشراب مثل الحقنة ، فيفطر الصائم بكل ما أدخله إلى جوفه سواء وصل من الفم أو من الأنف أو من الأذن إلى الدماغ أو ما يدخل من العين إلى الحلق أو ما يدخل إلى الجوف من الدبر بالحقنة فهذا كله يفطر لأنه وصل إلى الجوف بالاختيار.

وأما الكحل والقطرة اللذان يستعملان فى العين فإذا وجد طعمهما فى حلقه أو علم وصول شيء من ذلك إليه وابتلعه أفطر، وإلا فلا يفطر.

وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يفطره، لما روى عن النبى (ﷺ) أنه اكتحل فى رمضان وهو صائم، ولأن العين ليست منفذا فلم يفطر بالداخل منها، كما لو دهن رأسه.

وأما ما لا يمكن التحرز منه كابتلاع الريق فلا يفطره، لأن اتقاء ذلك يشق، فأشبه غبار الطريق، وغربلة الدقيق. وإن طار إلى حلقه ذباب أو غبار، أو فكر فأنزل أو احتلم، أو غلبه القيء لم يفسد صومه.

وإذا أصبح وفى حلقه طعام يسير لا يمكنه أن يلفظه ويخرجه فيزدرده فإنه لا يفطر به، لأنه لا يمكن التحرز منه لأنه أشبه بالريق.



الركن الثانى للصيام : "النية"

وقد عدها الشافعية ركنا من أركان الصيام وعدها غيرهم شرطا من شروطه.

والنية لغة : القصد، وشرعا : قصد الشيء مقترنا بفعله، فإن تراخى عنه سمى عزما.

والدليل على النية قول الله تعالى : **﴿وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾** (١) وقول الرسول (ﷺ) : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.."(٢).

وعن حفصة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ أن النبى (ﷺ) قال : "من لم يبيّت الصيام قبل الفجر فلا صيام له"(٣)فهذا الحديث يدل على أنه لا يصح الصيام إلا بتبييت النية، وهو أن ينوى الصيام فى أى جزء من الليل، وأول وقتها الغروب وآخره الفجر فلابد أن تكون النية قبل الفجر فى كل ليلة. وبالنية تتميز العبادات عن العادات ، والفرض عن التطوع، ولا يشترط أن يلتفظ بالنية، لأنها عمل قلبى، فمن قام من الليل وتسحر قاصدا الصيام فهو ناو له، ويكفى أن ينوى

---

(١) سورة البينة : ٥.

(٢) رواه البخارى.

(٣) رواه أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

بقلبه من الليل أنه يصوم اليوم الآتى ولا يضر من نوى الصوم أن يأكل أو يشرب أو يجامع زوجته بعد نيته مادام ذلك كله يقع قبل الفجر، وعند المالكية: إنه تكفى النية الواحدة فى كل صيام يجب تتابعه، كصيام شهر رمضان، وصيام كفارته وكفارة القتل أو الظهار ما دام لم ينقطع التتابع أما إن انقطع تتابع الصيام لعذر من الأعذار كالسفر أو المرض أو نحو ذلك، فلابد من تبييت النية فى كل ليلة من الليالى.

وأما الصيام الذى لا يشترط فيه التتابع كمن يصوم صوم كفارة ليمين أو يقضى أياما عليه من شهر رمضان مثلا فلابد فى هذا الصيام من النية فى كل ليلة.

وأما إن كان الصيام نفلا فتكفى النية ـ عند الشافعية ـ ولو بالنهار بشرط أن تكون قبل الزوال ـ أى قبل الظهر، وبشرط ألا يسبقها ما ينافى الصوم على الراجح.

وأما عند الأحناف فإن نية صيام النفل من الليل إلى ما قبل نصف النهار ولكن الأفضل أن يبيت الصائم النية ويعينها.

وأما المالكية : فيرون أنه لا تصح النية فى النهار فى أى نوع من أنواع الصيام حتى ولو كان تطوعا.



ويرى الحنابلة : إذا كان الصوم نفلا تصح نيته نهاراً ولو بعد الزوال إذا لم يأت بمناف للصوم من أكل أو شرب أو نحو ذلك من أول النهار.

ومن الأدلة على صحة صيام النفل، وأنه يصح بنية من النهار ما روى عن السيدة عائشة رضى الله عنها قالت :

دخل على النبى (ﷺ) ذات يوم ، فقال :

"هل عندكم شئ"؟

قلنا : لا ، قال :"فإنى صائم". ثم أتانا يوما آخر ، فقلنا : أهدى لنا حَيسٌ ، فقال : أرِنِيهِ، فلقد أصبحت صائمًا، فأكل"[1].

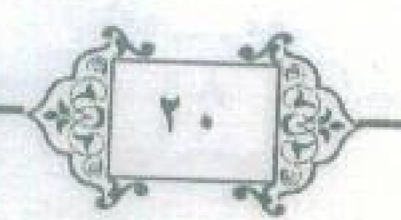
والحيْسُ : هو التمر مع السمن والأقط.

قال بعض العلماء : الجواب عنه أنه أعم من أن يكون بيّت الصوم أو لا فيحمل على التبييت لأن المحتمل يرد إلى العام ونحوه على أن فى بعض الروايات "أنى كنت أصبحت صائما " والأصل عموم حديث التبييت وعدم الفرق بين الفرض والنفل والقضاء والنذر ولم يقم ما يرفع هذين الأصلين فتعين البقاء عليهما.

ويجوز اتباع أحد المذاهب السابقة، ولكن الأفضل تبييت النية خروجا من الخلاف والله أعلم.

---

(١) رواه مسلم.



على من يجب الصيام

يجب الصيام على من توافرت فيه الشروط الآتية :.

الإسلام، والبلوغ ، والعقل ، والصحة ، بحيث يكون مسلما قادراً على الصيام، كما يجب على المرأة أن تكون طاهرة من الحيض والنفاس فلا صيام على كافر ولا على مريض لا يستطيع الصيام أو شيخ فان طاعن فى السن لا يقدر على الصوم.

ولكن الصبى إذا صام وهو مميز ومستطيع صح صيامه وأثيب على صومه ولا يجب الصيام على المريض ولا على المسافر، ولكنه إن صام المريض أو صام المسافر صح صيام كل منهما.. وكذلك أيضًا الشيخ الكبير فى السن والحامل والمرضع فقد رخص لهؤلاء فى الفطر ولكنهم لو صاموا صح صومهم.

أما الحائض والنفساء، فإنهما لا يصح صيامهما إلا بعد التطهر.

أما شرط الإسلام : فذلك لأن الصيام عبادة، والعبادة يشترط فيها أن يكون الإنسان مسلما فلا تجب على غير المسلم ولا تصح منه.



وأما البلوغ فلأنه بداية الوجوب بحيث من فرط بعده عوقب ولكنه لو صام قبل البلوغ صح منه وأثيب عليه ، بل الأفضل أن يعوّده أهله على العبادات منذ الصغر.

وأما العقل : فلأنه مناط التكليف، لأن المجنون غير مكلف لأنه مسلوب العقل.

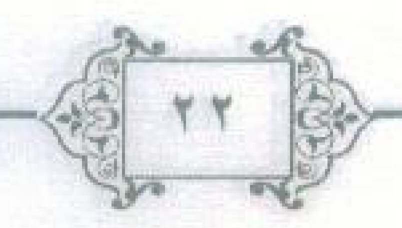
وفى الحديث يقول الرسول (ﷺ) : "رفع القلم عن ثلاثة : عن المجنون حتى يفيق وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم"(١).

وأما شرط البلوغ : فهو شرط لوجوب الصيام، بحيث لا يكون الصوم واجبا قبل هذه السن، ولكنه إن صام صح صومه وعلى ولى أمر الصبى أن يأمره بالصوم وأن يحثه عليه حتى يتعود على الصيام من صغره إذا كان قادرا على الصيام ولا يلحقه ضرر "عن الرُّبَيِّع بنت مُعَوذ قالت : أرسل رسول الله (ﷺ) ـ صبيحة عاشوراء إلى قرى الأنصار من كان أصبح صائما فليتم صومه ومن كان أصبح مفطراً فليصم بقية يومه، فكنا نصومه بعد ذلك، ونصوّم صبياننا الصغار منهم، ونذهب إلى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن (٢)

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والترمذى.

(٢) أى الصوف.



فإذا بكى أحدهم من الطعام أعطيناهُ إياها، حتى يكون عند الإفطار "(١).

فالإسلام لا يحرم الصغار من الثواب بالنسبة لعبادة الصيام كغيرها من العبادات كالصلاة حيث يؤمر بها الأبناء وهم أبناء سبع سنين ويضربون عليها وهم أبناء عشر سنين ـ ضربا غير مبرح ـ حتى يتعودوا على هذه العبادات.

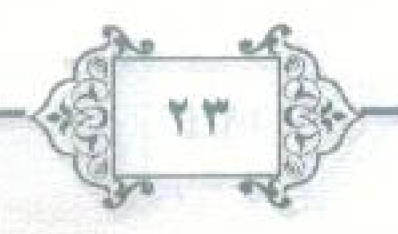
وأما شرط الصحة : فذلك لأن الله تعالى لا يكلف بالصوم إلا المستطيع ﴿**لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا**﴾ فالمريض الذى لا يستطيع الصوم أو المسافر، عليه القضاء من أيام آخر.

ومع هذا فإن استطاع وصام المريض أو المسافر صح الصوم.

ومما يجدر التنبيه عليه أنه بالنسبة للأبناء، ينبغى على أولياء أمورهم أن يأمروهم بالصيام حيث كانوا قادرين ومميزين كما يأمرونهم فى الصلاة وهم أبناء سبع سنين ويضربونهم وهم أبناء عشر سنين.. وعليهم أن يأمروهم أيضًا بالصيام ليتعودوا عليه.

---

(١) رواه البخارى ومسلم



الدعاء فى الصيام

إن الدعاء مستحب فى كل وقت وحين، وقد أمر الله تعالى بالدعاء وطلب من عباده أن يدعوه ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ والدعاء مخ العبادة، وهو ينفع فيما نزل وفيما لم ينزل ، فلا يمل العبد من الدعاء فى كل وقت وحين.

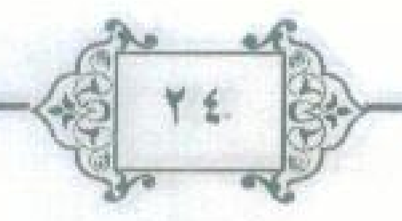
ولكنّ هناك بعض الأوقات والأحوال يكون الدعاء فيها أرجى للقبول، من بين هذه الأحوال والأوقات عندما يكون الإنسان صائما مطلق الصيام، سواء كان صائماً صيام الفريضة كصوم شهر رمضان أو صيام التطوع كأى صيام من الأيام التى يستحب الصوم فيها ، أو كان صيام نذر أو صيام كفارة.

ففى وقت الصيام وأثناء النهار يكون الدعاء أرجى للقبول وعند الإفطار فى وقت أذان المغرب.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى (ﷺ) قال : "إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد"[1].

---

(١) رواه ابن ماجه.



وكان عبدالله رضى الله عنه إذا أفطر يقول : "اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى".

وقد رويت أدعية عند الفطر عن رسول الله (ﷺ) منها : أنه (ﷺ) كان يقول : "اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت ذهب الظمأ، وابتلت العروق، وثبت الأجر إن شاء الله تعالى".

وفى هذا الدعاء من الأمل فى ثواب الله ورحمته والشكر لله ما فيه ومما يدل على أن دعاء الصائم طيلة مدة صومه مقبولٌ لا يُرد : ما روى أن رسول الله (ﷺ) قال :

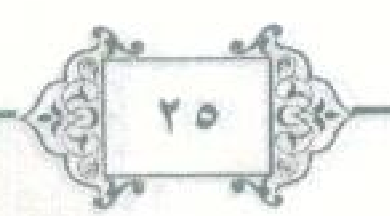
"ثلاثة لا تردّ دعوتهم : الصائم حتى يفطر والإمام العادل والمظلوم"[(١)]. وفى بعض الروايات : "حين يفطر".

وفى بعض الروايات : "ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام ويقول الرب: وعزتى وجلالى لأنصرنك ولو بعد حين".

وهكذا نرى أن حالة الصيام من الحالات التى لا يرد فيها الدعاء..

---

(١) رواه الترمذى.

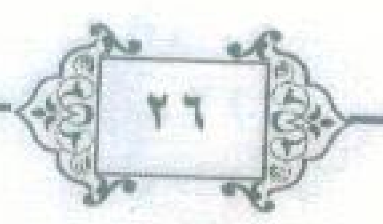


فعلى الصائم الذى يصوم صوم فرض أو صوم نفل أن يكثر من الدعاء، وإذا دعا فلا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم، بل عليه أن يدعو بما هو خير له ولإخوانه المسلمين.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال : قلمّا كان رسول الله (ﷺ) يقوم من مجلس حتى يدعو بهؤلاء الكلمات لأصحابه :

"اللهم أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا"(١).

(١) رواه الترمذى والحاكم.



بيان أن لكل بلد رؤيتهم للهلال

روى الإمام مسلم بسنده عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث بعثته إلى معاوية بالشام، قال: فقدمت الشام فقضيت حاجتها. واستُهِلَّ على رمضان وأنا بالشام فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة فى آخر الشهر، فسألنى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما، ثم ذكر الهلال فقال : متى رأيتم الهلال ؟ فقلت : رأيناه ليلة الجمعة ، فقال: أنت رأيته؟

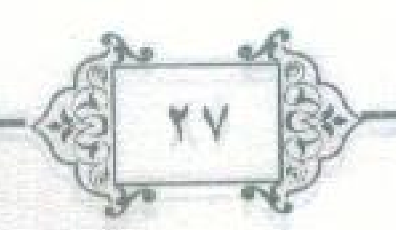
فقلت : نعم ورآه الناس وصاموا وصام معاوية ، فقال : لكنا رأيناه ليلة السبت فلا نزال نصوم حتى نكمل ثلاثين أو نراه فقلت : أو لا تكتفى برؤية معاوية وصيامه؟ فقال : لا هكذا أمرنا رسول الله (ﷺ)"(١).

لقد تمسك بهذا الحديث بعض العلماء الذين قالوا بأنه لا يلزم أهل بلد رؤية أهل بلد غيرها.

وفى هذه المسألة مذاهب وآراء للعلماء، كل اجتهد فيها على حسب ما أداه إليه فهمه للنصوص الثابتة.

---

(١) رواه مسلم.



١- فمن هذه المذاهب ما حكاه ابن المنذر عن عكرمة والقاسم بن محمد وسالم وإسحاق وحكاه الترمذى والماوردى – وعند الشافعية – أنه يعتبر لأهل كل بلد رؤيتهم ولا يلزمهم رؤية غيرهم.

٢- ما ذكره ابن الماجشون، بأنه لا يلزم أهل بلد رؤية غيرهم إلا أن يثبت ذلك عند الإمام الأعظم فيلزم الناس كلهم، لأن البلاد فى حقه كالبلد الواحد، إذ حكمه نافذ فى الجميع.

٣- إن تقاربت البلاد كان الحكم واحدا، وإن تباعدت فوجهان أنه لا يجب عند الأكثر كما قاله بعض الشافعية، واختار أبو الطيب وطائفة الوجوب..

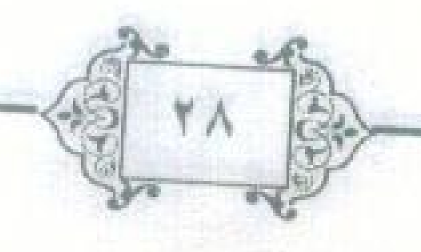
وضابط البعد أوجه :

١- اختلاف المطالع.

٢- كونها مسافة قصر.

٣- أن يكون البعد باختلاف الأقاليم.

٤- أنه يلزم أهل كل بلد لا يتصور خفاؤه عنهم بلا عارض دون غيرهم.



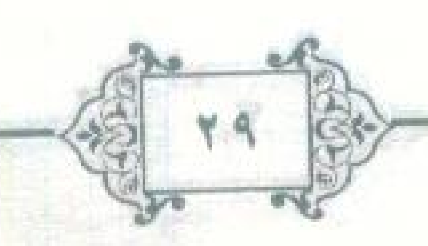
٥- أنه لا يلزم إذا اختلفت الجهتان ارتفاعاً وانحدارًا كأن يكون أحدهما سهلا والآخر جبلا أو كان كل بلد فى إقليم، وحجة أصحاب هذه الآراء هى هذا الحديث الذى معنا، لأن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما لم يعمل برؤية أهل الشام، وقال آخر الحديث: هكذا أمرنا رسول الله (ﷺ)، فدل ذلك على أنه قد حفظ من رسول الله (ﷺ) أنه لا يلزم أهل بلد العمل برؤية أهل بلد آخر.

وذهب المالكية إلى أنه إذا رآه أهل بلد لزم أهل البلاد كلها.

وقال الحافظ ابن حجر : أجمعوا على أنه لا تراعى الرؤية فيما بعد من البلاد كخراسان والأندلس.

والذى نختاره هو أنه إذا تباعدت البلاد بعدا يترتب عليه اختلاف مطالع الشمس والقمر كخراسان والأندلس وما على شاكلتهما فإن الرؤية فى بلد لا تعتبر فى البلد الآخر، وهذا ما يتمشى مع حديثنا هذا. وهو ما اختاره أكثر العلماء.

والله الموفق والهادى إلى سواء السبيل.



الأعذار المبيحة للفطر

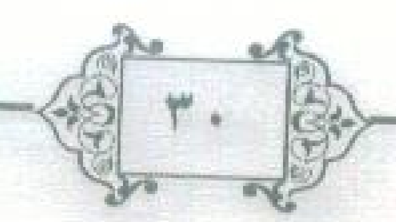
حكم صيام الشيخ الكبير والمرأة العجوز ولمريض وصاحب العمل الشاق

إذا كان الرجل كبيرا طاعنا فى السن أو كانت المرأة عجوزًا، أو كان الإنسان مريضًا مرضا لا يرجى برؤه، وكان هؤلاء لا يستطيعون الصيام فيرخص لهم أن يفطروا وأن يطعموا عن كل يوم مسكينا، ويقدر ذلك بنحو صاع، وهو ما يوازى بالكيل المصرى قدحين، روى عن عطاء أنه سمع ابن عباس رضى الله عنهما يقرأ ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ قال ابن عباس ــ رضى الله عنهما ــ ليست بمنسوخة هى للشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعما مكان كل يوم مسكينا[١]، وليس فى السنة تحديد لقيمة الإطعام فيمكن بما يصدق عليه ذلك وإن قل عن هذا.

ولا يلزم هؤلاء الثلاثة القضاء، لأنهم غير قادرين على الصوم. ويلحق بهم من كان يقوم بعمل شاق ولا يجد سبيلا للرزق سوى هذا العمل وعجز مع أدائه لعمله الشاق عن الصيام فإن له

---

(١) رواه البخارى.



الفطر وعليه الفدية كالذين يعملون فى مناجم الفحم الحجرى وأفران الحديد والنار ولا عمل لهم سوى هذا. أما لو كان عنده وقت بعد ذلك فعليه أن يقضى كما لو أعطى إجازات من العمل وراحة لفترة كافية.

وأما المريض مرضا يرجى برؤه فيباح له الفطر ، ويجب القضاء عليه.

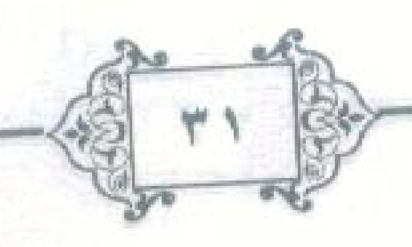
صيام الحامل والمرضع

عند الشافعية والحنابلة : أن الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما وعلى ولدهما، أو خافتا على نفسيهما فقط فعليهما القضاء فقط.

وأما إن خافتا على الولد فحسب، فعليهما القضاء والفدية.

وأما عند الأحناف : فيجوز للحامل والمرضع الفطر سواء خافتا على النفس والولد أو على النفس فقط أو على الولد فقط.

وعند المالكية : أن الحامل والمرضع إذا خافتا بالصوم مرضا أو زيادة فى المرض، سواء كان الخوف على نفسيهما وولدهما أو



نفسيهما فقط أو ولدهما فقط جاز لهما الفطر وعليهما القضاء ولا فدية على الحامل بخلاف المرضع فعليها الفدية.

وأما إذا كان الخوف على نفسيهما أو ولدهما من الهلاك أو من الضرر الشديد فيجب عليهما الفطر.

صيام المسافر

قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * ﴾(١).

فمن كان مسافرا سفرا طويلاً تقصر فيه الصلاة ويقدر بستة عشر فرسخا أى حوالى أربعة وثمانين كيلو فأكثر بأية وسيلة من وسائل السفر، جاز له الفطر وعليه أن يقضى الأيام التى أفطرها بعد ذلك.

(١) سورة البقرة (١٨٣ ــ ١٨٤).

وقال الحنابلة :

إذا كان سفر الصائم من بلده فى أثناء النهار ولو بعد الزوال وكان سفرا يبيح القصر جاز له الإفطار، ولكن الأولى أن يتم صوم اليوم الذى أنشأ السفر فى أثنائه، واشترط الفقهاء للمسافر أن يشرع فى سفره قبل طلوع الفجر بحيث يكون فى المكان الذى يبدأ قصر الصلاة فيه قبل الفجر واشترط الشافعية - زيادة على ذلك - ألا يكون الشخص مديما للسفر، فإن كان على سفر دائم حرم عليه الفطر، إلا إذا لحقه بالصوم تعب أو مشقة كالمشقة التى تبيح الفطر فيفطر وجوباً

أما إذا كان السفر لا يبيح قصر الصلاة كأن يكون سفرا قصيرا لم يجز له الفطر.

وإذا شرع المسافر فى سفره بعد طلوع الفجر حرم عليه الفطر، فلو أفطر فعليه القضاء دون الكفارة.

ويرى الشافعية :

أنه إذا أفطر الصائم الذى أنشأ السفر بعد طلوع الفجر بما يوجب القضاء والكفارة وجبا عليه، وإذا أفطر بما يوجب القضاء فقط وجب عليه القضاء فقط وحرم الفطر عليه، ويجوز للمسافر الذى بيت النية بالصوم أن يفطر ولا إثم عليه ، وعليه القضاء.



ويرى المالكية :

أنه إذا بيّت نية الصوم فى السفر فأصبح صائما فيه ثم أفطر لزمه القضاء والكفارة.

ويرى الحنفية :

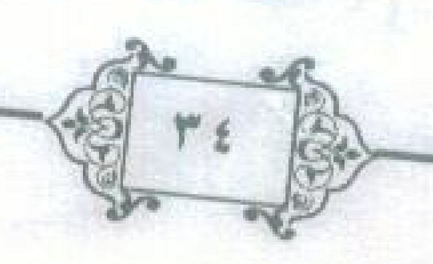
أن من بيت نيّة الصوم فى سفر يحرم الفطر عليه، وإذا أفطر فعليه القضاء دون الكفارة.

ويستحب الصيام لمن كان مسافرا ولا يشق الصوم عليه، لقوله تعالى :﴿ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ ﴾ أما إن شق الصوم عليه فالفطر افضل له وأمّا إذا أدّى الصيام إلى تلف نفس أو عضو أو تعطيل منفعة فالفطر واجب حينئذ.

ويرى المالكية :

أن الصوم سنة للمسافر ولو تضرر بحصول مشقة له.

أيهما أفضل الصيام أم الفطر فى السفر؟ يرى أبو حنيفة والشافعى ومالك أن الصيام أفضل لمن قوى عليه، وأن الفطر أفضل لمن لا يقوى عليه.



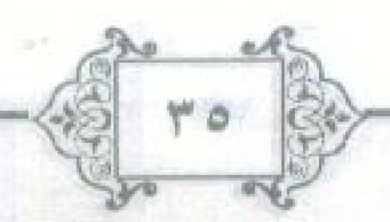
وقال أحمد : الفطر أفضل. قال حمزة الأسلمى : يا رسول الله أجد فى قوة على الصوم فى السفر فهل على جناح فقال : "هى رخصة من الله تعالى فمن أخذ بها فحسن ومن أحب أن يصوم فلا جناح عليه.(١)

حكم الحائض والنفساء

وأما الحائض والنفساء فقد اتفق العلماء على وجوب الفطر عليهما، ويحرم صومهما، وإذا صامتا لم يصح صَوْمُهُمَا ويقع باطلا وعليهما أن يقضيا ما فاتهما، فقد جاء فى الحديث عن عائشة رضى الله عنها قالت : "كنّا نحيض على عهد رسول الله (ﷺ) فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة"(٢).

وإذا انقطع دم المرأة الحائض أو النفساء قبل الفجر فإنها يصح أن تصبح صائمة وإن لم تغتسل إلا بعد الصبح، وعليها أن تتطهر لتؤدى الصلوات.

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه البخارى ومسلم



ما يستحب للصائم

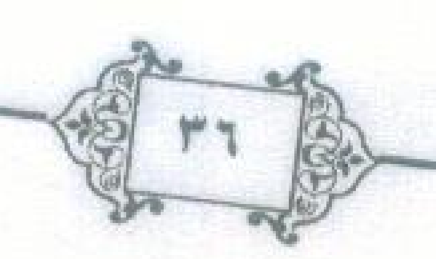
يستحب للصائم أن يتسحر، لأن السحور سنة، ولا يأثم تاركه عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : "تسحروا فإن فى السحور بركة"(١). والسُّحورُ: بضم السين هو الفعل والأكل وهو مصدر.

وأما بفتح السين (السَّحور) فهو ما يؤكل فى هذا الوقت وهو وقت السحر فيطلق بالفتح على المأكول وبالضم على الفعل، وفيه تقوية للصائم وإعانة على أداء الصيام ويتحقق ولو بقليل الطعام ولو بشربة ماء، عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه "السحور بركة فلا تدعوه ولو أن يجرع أحدكم جرعة ماء، فإن الله وملائكته يصلون على المتسحرين"(٢).

ويبدأ وقته من نصف الليل إلى أذان الفجر، والأفضل أن يمسك الصائم قبل الفجر بدقائق قليلة احتياطا للوقت، وكما يستحب تأخير السحور فإنه يستحب تعجيل الفطر مغ الاحتياط والتأكُّدِ من

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) رواه أحمد.



وقت غروب الشمس، عن سهل بن سعد رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال: "لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر"(١).

والأفضل أن يكون الفطر على رطب أو تمر فإن لم يجد فعلى ماء.

ـ كما يستحب الدعاء عند الإفطار، عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن النبى (ﷺ) قال : إن للصائم عند فطره دعوة ما ترد"(٢).

وكان عليه الصلاة والسلام يدعو عند الفطر بقوله: "اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت.

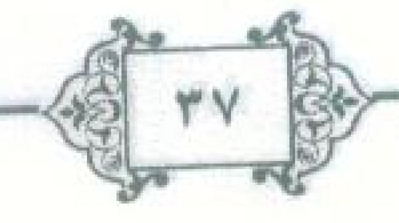
ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله تعالى". وقال (ﷺ) : "ثلاثة لا ترد دعوتهم الصائم حتى يفطر والإمام العادل والمظلوم"(٣). وفى رواية "حين يفطر".

---

(١) رواه البخارى ومسلم

(٢) رواه ابن ماجة .

(٣) رواه الترمذى.



ـ ويستحب للصائم أن يبعد عن الزور والكذب واللغو والرفث.

ـ وعليه أن يحافظ على صلاة القيام (صلاة التراويح).

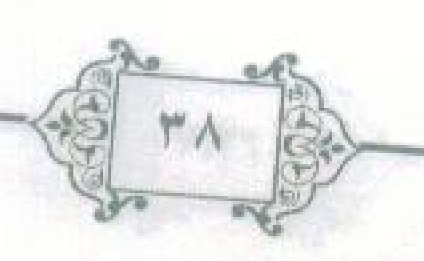
ـ وأن يحافظ على تلاوة القرآن الكريم.

ـ وأن يكون سخيا جوادا اقتداء برسول الله (ﷺ) الذى كان أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله (ﷺ) أجود بالخير من الريح المرسلة"(١).

ـ كما يستحب تعجيل الفطر وتأخير السحور.

ـ ويستحب أن يكف عن فضول الكلام، وأن يشتغل بالعلم وتلاوة القرآن وأداء صلاة القيام والذكر والدعاء والاعتكاف والإنفاق وكثرة الصدقات.

(١) رواه البخارى.



ما يباح فى الصوم

ويباح للصائم أن يغتسل، وأن يبرد جسمه إذا كان الوقت شديد الحرارة، وأن يصبح جنبا وهو صائم ولا يبطل صيامه بذلك، ولكن الأفضل أن يبادر بالطهارة لأداء الصلاة على وقتها وتلاوة ما تيسر من القرآن الكريم.

كما يباح الاكتحال، والقطرة فى العين بشرط إذا نزلت الحلق ألا يبتلعها.

وتباح الحقنة فى الوريد أو تحت الجلد للعلاج أو للتقوية.

وتباح المضمضة والاستنشاق ولا يبالغ فيهما.

ويباح ما لا يستطيع الإنسان وقاية نفسه منه كالريق وغبار الطريق وغربلة الدقيق.

ويباح للصائم أن يأكل ويشرب أو يعاشر زوجته من بعد الغروب حتى يطلع الفجر.



الصوم المكروه

يكره صيام يوم الشك، وإفراد يوم الجمعة بالصوم أو إفراد يوم السبت.

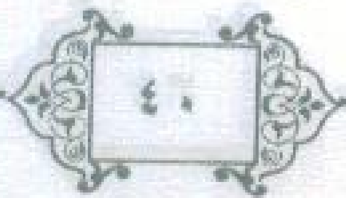
قال عمار بن ياسر رضى الله عنه: "من صام اليوم الذى شك فيه فقد عصى أبا القاسم (ﷺ) " رواه أبو داود والترمذى وقال الترمذى حسن صحيح.

ويوم الشك هو اليوم الثلاثون من شهر شعبان حيث لم يظهر هلال شهر رمضان بسبب غيم بعد غروب يوم التاسع والعشرين من شعبان فيكره صومه إلا إذا وافق عادة للصائم.

مبطلات الصوم

ما يوجب القضاء والكفارة

من بين مبطلات الصوم ما يوجب الكفارة مع القضاء عند الجمهور وعند الشافعية وذلك بالجماع فى نهار رمضان، لما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال : هلكت يا رسول الله، قال : "وما أهلكك؟ قال: وقعت على امرأتى فى



رمضان ، فقال : هل تجد ما تعتق به رقبة ؟ قال : لا، قال : فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال : لا ، قال : فهل تجد ما تطعم به ستين مسكينا؟ قال : لا ، قال : ثم جلس فأتى (ﷺ) بعرق[١] فيه تمر، فقال : تصدق بهذا ، قال : فهل على أفقر منا؟ فما بين لابتيها[٢] أهل بيت أحوج إليه منا؟ فضحك النبى (ﷺ) حتى بدت نواجذه وقال : اذهب فأطعمه أهلك"[٣].

ويرى الجمهور : أن الكفارة على الرجل والمرأة إذا تعمدا الجماع وكانا مختارين وفى نهار رمضان ونوى كل منهما الصيام.

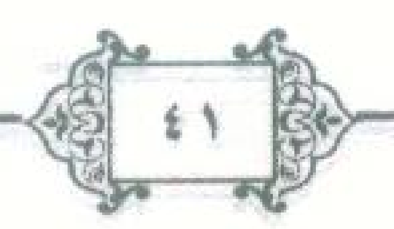
أما لو حدث نسيان أو لم يكونا مختارين أو لم ينويا الصيام فلا كفارة على واحد منهما.

ويرى الشافعى أنه لا كفارة مطلقا على المرأة وعليها القضاء فقط وسئل أحمد عمن أتى أهله فى رمضان أعليها كفارة؟

قال : ما سمعنا أن على امرأة كفارة.

---

(١) هو أحد المكاييل آنئذ يسع ما يقرب من خمسة عشر صاعا أو ثلاثين قدحا.
(٢) أى ما بين أطراف المدينة، فقد كانت تحيط بها حجارة سود هى اللابة.
(٣) رواه الجماعة.

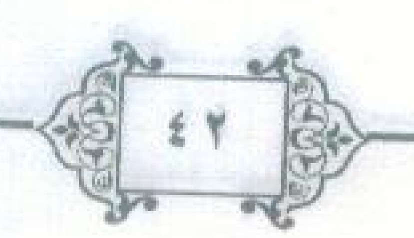


ما يوجب القضاء فقط

من مبطلات الصيام ما يُوجب القضاء فقط مثل: الأكل عمدا والشرب عمدا، والقيىء عمدا، أما لو أكل أو شرب أو حدث منه قيىء دون عمد فإنه لا يفطر ويظل ممسكا وصيامه صحيح.

ومن مبطلات الصيام : الحيض، والنفاس، والاستمناء، وتناول شيء من منفذ معتاد إلَى الجوف وإن لم يكن به غذاء.

وكذلك يفطر إذا أكل أو شرب أو جامع ظانا أن الشمس قد غربت ولم تغرب، أو ظانا أنه بالليل ولم يطلع الفجر وكان الفجر قد طلع ففى كل هذه الأحوال يكون مفطرا وعليه القضاء.



تأخير قضاء رمضان

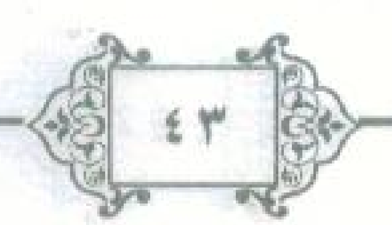
عن أبى سلمة قال: سمعت عائشة رضى الله عنها تقول: كان يكون علَىّ الصوم من رمضان فما أستطيع أن أقضيه إلا فى شعبان الشغلُ من رسول الله (ﷺ)، أو برسول الله (ﷺ) (١).

إذا أفطر المسلم فى رمضان بعذر فإن القضاء يكون فى حقه واجبا على التراخى، ولا يشترط أن يسارع بالقضاء أول ما يتمكن، وهذا هو مذهب الأئمة : مالك وأبى حنيفة والشافعى وأحمد وجماهير السلف والخلف، ولكنهم قالوا : لا يجوز تأخير قضاء رمضان عن شعبان الآتى، لأنه يؤخره حينئذ إلى زمان لا يقبله وهو رمضان الآتى، فصار كمن أخره إلى الموت، كما قال الجمهور: تستحب المبادرة بالقضاء للاحتياط فيه.

وذهب داود إلى وجوب المبادرة بالقضاء فى أول يوم بعد العيد من شوال.

فإن أخر القضاء فيجب عليه العزم على فعله، وأجمع العلماء على أنه لو مات قبل خروج شعبان لزمه الفدية فى تركه عن كل يوم

(١) رواه مسلم.



مد من طعام، هذا. إذا تمكن من القضاء ولم يقض. وأما من أفطر فى رمضان بعذر ثم اتصل عجزه فلم يستطع أن يصوم إلى أن مات فليس عليه صوم ولا إطعام ولا يصوم أحد عنه.

وعند الجمهور أن القضاء لأيام شهر رمضان يجوز مفرقا غير مرتب لكن يندب أن يكون مرتبا . وأما أهل الظاهر، فأوجبوا تتابع أيام القضاء كما يجب الأداء.

وفى هذا الحديث توضح السيدة عائشة رضى الله عنها العذر فى تأخير القضاء حيث كانت هى وكل واحدة من أمهات المؤمنين مهيئة نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم تستأذنه فى الصوم مخافة أن يأذن وقد يكون له حاجة فتفوتها عليه، وهذا من أدب أمهات المؤمنين وخلقهن العالى، وحسن معاشرتهن وإجلالهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد اتفق العلماء على أن المرأة لا يحل لها صوم التطوع وزوجها حاضر إلا بإذنه وإنما صامت السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها فى شهر شعبان لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصوم معظم شعبان، فلا حاجة له فيهن حينئذ فى النهار.

وعبارة " الشغل من رسول الله صلى الله عليه وسلم" قائلها هو: يحيى الراوى المذكور بالسند.

وفى رواية الإمام مسلم التى معنا فى هذا الحديث جاءت هذه العبارة مدرجة فلم يقل قال : يحيى، فأصبحت العبارة كأنها من كلام السيدة عائشة رضى الله تعالى عنها عَمَّنْ روى عنها.

وأما رواية الإمام البخارى فقد ورد فيها التصريح حيث ذكر قائلها قال : "قال يحيى : الشغل من النبى أو بالنبى (ﷺ)".

وقد ترجم الإمام البخارى لهذا الموضوع بقوله : باب متى يقضى قضاء رمضان؟

وقال ابن عباس : لا بأس أن يفرق لقول الله تعالى: " فعدة من أيام آخر. وقال سعيد بن المسيب فى صوم العشر: لا يصلح حتى يبدأ برمضان، وقال إبراهيم : إذا فرط حتى جاء رمضان آخر يصومها ولم ير عليه إطعاما ويذكر عن أبى هريرة مرسلا. وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه يطعم.

وقد صرح ابن حجر فى فتح البارى بأن أثر أبى هريرة قد وجده موصولاً من طرق، فأخرجه عبدالرازق عن ابن جريج

أخبرنى عطاء، عن أبى هريرة قال : أى إنسان مرض فى رمضان ثم صح فلم يقضه حتى أدركه رمضان آخر فليصم الذى حدث ثم يقضى الآخر ويطعم مع كل يوم مسكينا، قلت لعطاء : كم بلغك يطعم؟ قال مدا.

من خصوصيات الصائمين

عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "إن فى الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل معهم أحد غيرهم، يقال : أين الصائمون؟ فيدخلون منه، فإذا دخل آخروهُمْ أغلق فلم يدخل منه أحد".[1]

يوضح الرسول صلوات الله وسلامه عليه فى هذا الحديث، فضل الصيام وكرامة الصائمين عند الله سبحانه وتعالى.

لقد خصهم الله سبحانه بدخولهم الجنة من باب مخصوص، جزاء صبرهم على الجوع، وتحملهم للظمأ، وإخلاصهم فى صومهم لله تعالى سرا وعلانية ، فناسب أن يكون جزاؤهم على صبرهم على

(١) رواه مسلم والنسائى وابن خزيمة.

الجوع والظمأ أن يدخلوا من باب خاص هو "الريان" وقد ناسب اسم هذا الباب ولفظه معناه، فهو مشتق من الرى وهو مناسب لحال الصائمين الذين امتنعوا عن الطعام والشراب، وصبروا على كل شهوات النفس.

ونلاحظ أنه بمعناه وهو الرّى قد اكتفى به عن الشبع، وذلك لأنه يدل عليه من حيث إنه يستلزمه. أو يكون الظمأ أشد على الصائمين من الجوع . قال الزين بن المنير : إنما قال فى الجنة، ولم يقل للجنة ليشعر بأن فى الباب المذكور من النعيم والراحة فى الجنة، فيكون أبلغ فى التشوق إليه.

وقد أخرج النسائى وابن خزيمة هذا الحديث من طريق سعيد بن عبدالرحمن وغيره وزاد فيه: "من دخل شرب، ومن شرب لا يظمأ أبدا".

إنه كرم من الله رب العالمين، للصائمين، وتكريم لهم جزاء إخلاصهم فى عباداتهم ومعلوم أن الله سبحانه وتعالى قد تكفل بجزاء الصائمين كما جاء فى الحديث "الصوم لى وأنا أجزى به".

وجزاء الله لهم وافر وعظيم وغير محدد ولا معين، وأما دخول الصائمين من هذا الباب فهو زيادة لهم فى الجزاء والتكريم.



وواضح أن للجنة أبوابا، منها باب الصلاة، وآخر للجهاد، وآخر للصيام، وهو الريان الذى نحن بصدد الحديث عنه، ومنها: باب الصدقة.

عن أبى هريرة رضى الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى من أبواب الجنة يا عبدالله وهذا خير ، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، فقال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى يا رسول الله، ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة، فَهَلْ يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال: نعم، وأرجو أن تكون منهم.[1]

---

(١) رواه البخارى.



النهى عن الوصال

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى (ﷺ) نهى عن الوصال، قالوا: إنك تواصل قال : إنى لست كهيئتكم إنى أطعم وأسقى.

وفيما رواه بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال، فقال رجل من المسلمين: فإنك يا رسول الله تواصل. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأيكم مثلى إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقين. فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم رأوا الهلال، فقال : لو تأخر الهلال لزدنكم ـ كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا(١).

ومن المعلوم أن على المسلمين أن يتخذوا أسوتهم من رسولهم صلوات الله وسلامه عليه، وكان الصحابة رضوان الله تعالى عليهم يحرصون على الاقتداء بالرسول (ﷺ) فى كل أمورهم وشئونهم وعبادتهم ومعاملتهم ، مصداقا لقول الله سبحانه وتعالى :

---

(١) رواه مسلم.



﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ (١).

ولكن هناك أمورا يختص بها الرسول (ﷺ) فلا يقتدى به فيها.

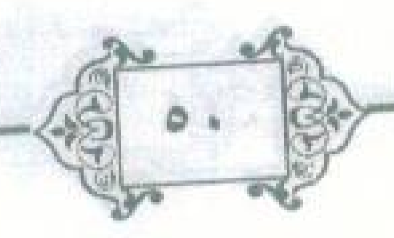
وواضح أن كل حكم ثبت فى حق النبى (ﷺ) فهو ثابت أيضًا فى حق أمته إلا ما استثنى بدليل، كبعض خصائصه (ﷺ) فإن خصائص الرسول (ﷺ) لا يتأسى به فى جميعها، وقد توقف فى ذلك إمام الحرمين، وقال أبو شامة : ليس لأحد التشبه به فى المباح، كالزيادة على أربع نسوة ويستحب التنزه عن المحرم عليه كالأكل من الصدقة، ويستحب التشبه به فى الواجب عليه كالضحى.

وأما المستحب فى حقه (ﷺ) فلم يتعرض له، والوصال منه فيحتمل أن يقال إن لم ينه عنه لم يمنع الائتساء به فيه لبعض الناس وفى بعض الأحوال، وهذا نادر وأما الأعم والأغلب فهو ما وردت به السنة الصحيحة الصريحة فى ذلك من النهى عن الوصال.

وقد نص الإمام الشافعى وأصحابه على كراهة الوصال فى الصيام ولهم فى هذه الكراهة وجهان :

---

(١) سورة الأحزاب (٢١).



أولهما وأصحهما أنها كراهة تحريم.

والثانى كراهة تنزيه. وقد قال جمهور العلماء بالنهى عن الوصال.

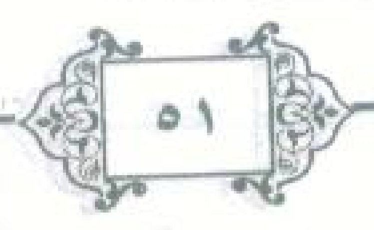
وقال القاضى عياض : اختلف العلماء فى أحاديث الوصال، فقيل : النهى عنه رحمة وتخفيفاً، فمن قدر فلا حرج، وقد واصل جماعة من السلف الأيام.

وأجازه ابن وهب وأحمد وإسحاق إلى السحر، ثم حكى عن الأكثرين كراهته.

وقال الخطابى وغيره: الوصال من الخصائص التى أبيحت لرسول الله (ﷺ) وحرمت على الأمة.

واحتج الجمهور، بعموم النهى عن الوصال، وأما الذين أباحوه فاحتجوا بما جاء فى بعض طرق مسلم : نهاهم عن الوصال رحمة بهم.

وفى هذا الحديث الذى معنا، أنهم لما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم رأوا الهلال وهو هلال شوال لأن الوصال بهم كان فى آخر شهر رمضان، وقال لهم. لو تأخر الهلال لزدتكم كالمنكل لهم حين أبوا أن ينتهوا.



وفى بعض الروايات : لو مد لنا الشهر لواصلنا وصالا يدع المتعمقون تعميقهم وإنما واصل بهم يوما بعد يوم لتأكيد زجرهم وبيان الحكمة فى نهيهم وتوضيح ما يترتب على الوصال من الملل والتعرض للتقصير فى بعض وظائف الدين.

وأما قول الرسول (ﷺ) : "إنى أبيت يطعمنى ربى ويسقينى" فقد قيل فى معناه : أنه يطعم من طعام الجنة كرامة له، وقيل : يجعل الله سبحانه وتعالى فيه قوة الطاعم الشارب وهذا أصح، لأنه إن أكل حقيقة لم يكن حينئذ مواصلا، ومما يوضح هذا ما جاء فى رواية أخرى: "إنى أظل يطعمنى ربى ويسقينى" ومعنى ظل لا يكون إلا فى النهار، ولا يجوز الأكل الحقيقى فى النهار وفى النهى عن الوصال رحمة وتيسير بالأمة، فمنهج الإسلام قام على الاعتدال والقصد فى الأمور كلها، لا إفراط ولا تفريط، قال : ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وقال ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ وقال (ﷺ) "هلك المتنطعون" أى الذين يبالغون ويتشددون فى الأمور، وقال : "إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا واغدوا وروحوا".

جواز الصوم والفطر للمسافر

عن عبيد الله بن عبدالله بن عتبة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه أخبره أن رسول الله (ﷺ) خرج عام الفتح فى رمضان فصام حتى بلغ الكديد ثم أفطر، قال: وكان صحابة رسول الله (ﷺ) يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره.[1]

لقد رخص الإسلام فى الفطر للصائم المسافر تيسيراً عليه ورحمة به لأن الإسلام دين اليسر والرحمة، وعلى المسافر الذى أفطر يوما من الأيام لعذر السفر أن يقضى ما أفطره من شهر رمضان بعد ذلك، قال الله سبحانه وتعالى ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

ويرى جمهور العلماء أن الصوم فى السفر جائز وأنه إذا صام المسافر ينعقد صيامه ويجزيه.

---

(١) رواه مسلم.



واختلفوا أيهما أفضل الصوم أم الفطر أم أنهما سواء؟ فقال مالك وأبو حنيفة والشافعى والأكثرون : الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر، فإن لحقه ضرر فالفطر أفضل. واحتجوا بصوم النبى (ﷺ) وعبدالله بن رواحة وغيرهما، وبغير ذلك من الأحاديث ولأنه يحصل به براءة الذمة فى الحال.

وقال سعيد بن المسيب والأوزاعى وأحمد وإسحاق وغيرهم : الفطر أفضل مطلقا، وحكاه البعض للشافعى وهو غريب.

وقال بعض أهل الظاهر : لا يصح صوم رمضان فى السفر. فإن صامه لم ينعقد ، ويجب قضاؤه لظاهر الآية ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾.

ولحديث " ليس من البر الصيام فى السفر" وفى حديث الآخر "أولئك العصاة".

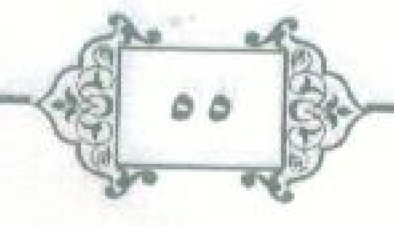
وقال بعض العلماء : الصوم والفطر سواء لتعادل الأحاديث والصحيح الذى نرجحه من هذه الآراء هو رأى الأكثرين أن الصوم أفضل لمن أطاقه بلا مشقة ظاهرة ولا ضرر، فإن لحقه ضرر فالفطر أفضل.

والحديث الذى معنا يوضح ما فعله رسول الله (ﷺ) فى بعض أسفاره، فقد خرج عام الفتح سنة ثمان من الهجرة فى شهر رمضان وصام ، حتى وصل المكان المسمى الكديد، وهى عين جارية بينها وبين المدينة سبع مراحل أو نحوها وبينها وبين مكة قرب مرحلتين، وهى أقرب إلى المدينة من عسفان.

وقد استدل العلماء بهذا الحديث على أن للمرء أن يفطر، ولو نوى الصيام من الليل وأصبح صائمًا، فله أن يفطر فى أثناء النهار وهو قول الجمهور. وقطع به أكثر الشافعية، وفى وجه : ليس له أن يفطر، واستند أصحاب هذا الرأى إلى ما وقع عند البويطى من تعليق القول به على صحة حديث ابن عباس، فيما لو نوى الصوم فى السفر.

أما لو نوى الصوم وهو مقيم ثم سافر فى أثناء النهار فقد منع الجمهور أن يفطر ، وقال أحمد وإسحاق بالجواز، واختاره المزنى محتجا بهذا الحديث فقيل له : قال كذلك ظنا منه أنه (ﷺ) أفطر فى اليوم الذى خرج فيه من المدينة وليس كذلك، فإن بين المدينة والكديد عدة أيام.

وأجاز الجمهور الفطر لمن طلع عليه الفجر فى السفر.



"وكان صحابة رسول الله (ﷺ) يتبعون الأحدث فالأحدث من أمره (ﷺ) وهو محمول كما قال النووى ـ على ما علموا منه النسخ أو رجحان الثانى مع جوازهما.

وفى قول ابن عباس رضى الله عنهما فى رواية أخرى ".... فصام رسول الله (ﷺ) وأفطر، فمن شاء صام ومن شاء أفطر" فى هذا دلالة لمذهب الجمهور فى جواز الصوم والفطر جميعا.

وفى حديث جابر بن عبدالله رضى الله عنهما : أن رسول الله (ﷺ) خرج عام الفتح إلى مكة فى رمضان فصام حتى بلغ كراع الغميم فصام الناس ثم دعا بقدح من ماء فرفعه حتى نظر الناس إليه ثم شرب، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام فقال : أولئك العصاة، أولئك العصاة.

وهذا القول منه (ﷺ) محمول على من تضرر بالصوم فى السفر أو أن هؤلاء الذين ظلوا صائمين، أمروا بالفطر أمرا جازما لمصلحة بيان جوازه فخالفوا الواجب.

الصيام الكامل .. والمقبول

لقد وضح الرسول (ﷺ) مكانة شهر رمضان، ببيان ما تميز به من خصوصيات أشار القرآن الكريم إليها : ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾.

ففيه أنزل القرآن، وفيه ليلة خير من ألف شهر ، وهى ليلة القدر ومن أعظم علامات الرحمة والخير فيه: تفتيح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين..

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصُفِدت الشياطين"[١].

وقد رأى العلماء أن تفتيح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين، على ظاهره وحقيقته، وتكون هذه الأمور علامة لدخول الشهر، وتكريما له، وفى حبس الشياطين فى شهر رمضان كفٌ لهم عن إيذاء المؤمنين.

(١) رواه مسلم.



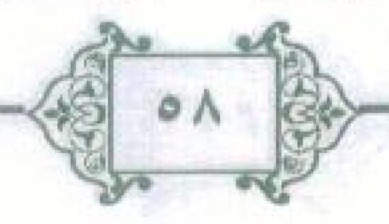
وهناك وجه آخر أن يكون فتح أبواب الجنة إشارة إلى كثرة الثواب، وإغلاق أبواب الناس إشارة إلى العفو، وتصفيد الشياطين إشارة إلى قلة إغوائهم. فكأنّ حالهم أشبهت حال المصفدين، ويكون هذا التصفيد خاصا بناس دون ناس، وعن أمور دون أمور، ويؤيد هذا الرواية الثانية : "وفتحت أبواب الرحمة". وجاء فى حديث آخر "صفدت مردة الشياطين".

أو أنه أطلق المسبّب وهو تفتيح أبواب الجنة وإغلاق أبواب النار وتصفيد الشياطين وأراد السبب وهو فعل الطاعات وعمل الخيرات والكف عن المعاصى والسيئات.

وإنما يستشعر كل هذا من صام صوما حقيقيًّا لا زور فيه ولا غيبة ولا نميمة ولا ذنب، بل يتحلى الصائم بمكارم الأخلاق..

وقال بعض العلماء : يحتمل أن يكون المراد أن الشياطين هم مسترقو السمع منهم وأن تصفيدهم يقع فى ليالى رمضان لأنهم كانوا منعوا فى زمن نزول القرآن من استراق السَّمع فزيدوا التصفيد مبالغة فى الحفظ.

وقال بعض العلماء : فائدة فتح أبواب السماء توقيف الملائكة على استحماد فضل الصائمين وأنه من الله بمنزلة عظيمة.



وهكذا يتضح مما سبق ما لهذا الشهر الكريم، من منزلة عظيمة عند الله سبحانه وتعالى، وأنه أفضل الشهور، واستدل بعض العلماء بهذا الحديث على أن الجنة فى السماء.

كما استنتج العلماء من هذا الحديث مضاعفة الأجر وتنزل رحمات الله تعالى على عبادة الصائمين فى شهر رمضان، وعلى المؤمنين أن يغتنموا الأوقات المباركة بكثرة العبادة وزيادة الطاعة.

✦ ✦ ✦

ولا يكون الصائم كامل الصوم مقبولا عند ربه سبحانه وتعالى إلا إذا صام صوماً حقيقيًا وتاماً، بأن كف جوارحه وشهواته وامتنع عن المفطرات وعن المعاصى ما ظهر منها وما بطن وامتنع عن الزور وعن العمل به.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) : "من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه"(١).

والمراد بقول الزور : الكذب، روى ليث بن مجاهد: خصلتان تفسدان الصيام : الغيبة والكذب.

---

(١) رواه البخارى.



والذى يكف عن الطعام والشراب فيجوع ويعطش ولكنه لا يكف نفسه عن الغيبة أو الزور أو العمل به ولا يحفظ جوارحه عن الآثام أو يصوم ويفطر على الحرام أو على لحوم الناس بالغيبة ونحوها، هذا الإنسان لا يجنى من صيامه إلا الجوع والعطش، كما قال رسول الله (ﷺ) : "كم من صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش"(١).

وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) قال: "من صام رمضان وعرف حدوده وتحفظ مما ينبغى له أن يتحفظ منه كفَّر ما قبله"(٢).

وقال (ﷺ) : "إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك ويدك".

إن الصيام بهذا المعنى يكون كاملا مقبولا ، يتكفل الله سبحانه وتعالى بجزاء الصائمين كما جاء فى الحديث "كل عمل بن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به".

---

(١) رواه النسائى وابن ماجه.
(٢) رواه ابن حبان فى صحيحه والبيهقى.

إن الصيام أمانة يجب على المؤمن أن يؤديها على أكمل وجه وأتمه وأن يصون صيامه من كل ما يبطله أو ينقص ثوابه، وأن يتحاشى قول الزور والعمل به، وأن يتخلى عن الرذائل ويتحلى بالفضائل ليستحق أن يتكفل الله بجزائه، وأن يثمر صيامه أعظم الثمرات.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله (ﷺ) أجود الناس وكان أجود ما يكون فى رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه فى كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله (ﷺ) أجود بالخير من الريح المرسلة"[1].

لقد كان صلوات الله وسلامه عليه أجود الناس، والجود: هو إعطاء ما ينبغى لمن ينبغى ، وهو أعم من الصدقة.

وفى حديث آخر عن أنس رضى الله عنه : "كان النبى صلى الله عليه وسلم أشجع الناس وأجود الناس".

وبعد أن وضح الحديث أن رسول الله (ﷺ) أجود الناس مطلقا، أشار بعد ذلك إلى أن جوده وعطاءه وبذله صلوات الله وسلامه عليه فى شهر رمضان أكثر من غيره من الشهور.

---

(١) رواه البخارى.

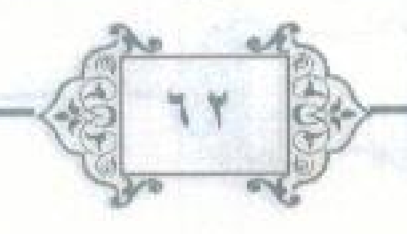


فبعد بيان أنه أجود الناس وجوده أفضل من جود غيره مطلقًا، وضح أن جوده فى شهر رمضان يفضل جوده فى سائر الأوقات ، لأن شهر رمضان هو موسم الخيرات ولأن نعم الله سبحانه وتعالى على عباده فيه زائدة على غيره، وهى فى هذا الشهر أكثر من غيره، فكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يؤثر متابعة سُنة الله فى العبادة.

وكان جبريل يلقاه فى كل ليلة فى رمضان فيدارسه القرآن، ومعنى مدارسة القرآن : قراءته بالتناوب على سرعة، فكان الرسول (ﷺ) يتناوب القراءة مع جبريل عليه السلام، بأن يقرأ هذا بعضا من القرآن، ويقرأ الآخر البعض، أو يتشاركان فى القراءة معا.

أما الحكمة فى مدارسة القرآن، فهى أنها تجدد العهد بمزيد غنى النفس، والغنى سبب الجود، ولأن هذا الشهر المبارك هو موسم الطاعات والخيرات ونعم الله فيه لا تحصى.

وجوده (ﷺ) فى شموله وعمومه يشمل كثيرًا من الوجوه والمنافع، وأن الجود مع كثرته سريع كالريح المرسلة، بل إن جوده صلوات الله وسلامه عليه أكثر من الريح المرسلة سرعة، ووصف الريح بالمرسلة إشارة إلى دوام هبوبها بالرحمة، وإلى عموم النفع بجوده كما تعم الريح المرسلة جميع ما تهب عليه.



وورد عند الإمام أحمد فى آخر هذا الحديث: "لا يُسأل شيئًا إلا أعطاه".

وفى الصحيح من حديث جابر رضى الله عنه : ما سئل رسول الله (ﷺ) فقال لا .

ومعلوم أن رسول الله (ﷺ) هو الأسوة الحسنة الذى يجب على أمته أن تقتدى به كما قال الله جل شأنه :

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

فعلينا أن نقتدى برسولنا صلوات الله وسلامه عليه فى الإنفاق والمزيد من الجود فى شهر رمضان.

ليلة القدر

معنى ليلة القدر

يرى بعض العلماء أن معنى القدر الذى أضيفت إليه الليلة هو التعظيم، كقول الله سبحانه وتعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ فهى ذات قدر وتعظيم لما نزل فيها من القرآن الكريم.. أو أن العظمة والقدر لما يحدث فيها من نزول الملائكة، وأيضًا لما ينزل فى هذه الليلة من رحمات الله تعالى وبركاته وغفرانه وفيوضاته ، أو أن الذى يحييها، يصبح ذا قدر وشرف، ومنزلة كريمة.

وقال البعض .. القدر هنا التضييق، كقول الله تعال: ﴿وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ والمراد بالتضييق إخفاء الليلة وعدم تعيينها.. أو لأن الأرض تضيق فيها عن الملائكة، أو أن القدر فيها بمعنى القدر، أى أنه يقدر فيها أحكام تلك السنة وما يقضى الله به على عباده، وذلك لقول الله عز وجل : ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ ولقيام ليلة القدر فضل وافر، لأن الله تعالى مادام قد جعلها خيرا من ألف شهر ليس فيها ليلة القدر، فهذا يفيد أن العبادة فيها تكون أعظم شأنا منها فى غيرها.



عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) قال : "من صام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، ومن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه".

والمراد بقوله (ﷺ) : "من صام رمضان إيمانا" أى تصديقا بوعد الله تعالى بالثواب، فقد وعد رب العزة بثواب الصائمين وتكفل به، كما جاء فى الحديث القدسى: "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فهو لى وأنا أجزى به" "واحتسابا" أى طلبا لوجه الله سبحانه وتعالى وثوابه وطلبا للأجر لا لشىء آخر من رياء أو نحوه.

والاحتساب من الحسب كالاعتداد من العدد، وإنما قيل لمن ينوى بعمله وجه الله : "احتسبه"، لأن له حينئذ أن يعتد عمله، فجعل فى حال مباشرة الفعل كأنه معتد به.

وفى قول الرسول (ﷺ) : ".. غفر له ما تقدم من ذنبه" ما يفيد الإطلاق فيشمل الصغائر والكبائر. والمعروف أنه يختص بالصغائر، وأما الكبائر فلا تغفر إلا بالتوبة النصوح بشروطها وهى: الندم على ما فات، والعزم على عدم العودة والإقلاع عن الذنب، ورد الحقوق لأصحابها.



وفى بيان الرسول (ﷺ) لجزاء الصائم بغفران الله له ما تقدم من ذنبه، قيد هذا الجزاء بأن صيامه (إيمانا واحتسابا)، لينفى عن ساحة الصائم الرياء وحب الظهور وغير ذلك من الدواعى التى تقلل ثواب العبادة، بل أحيانا تحبطها ، وليكون الصائم مخلصا فى عبادته، وصادقا فيها، ومقبلا بها على ربه سبحانه وتعالى قاصدا بها وجه الله تعالى وحده لا شريك له كما قال الله تعالى :

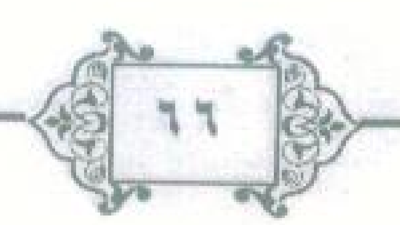
﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ (١).

وهذا الجزاء أيضًا، وهو غفران الذنوب، يكون لمن قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا كذلك، ويكون قيام ليلة القدر بأداء صلاة القيام فيها ، وهى صلاة التراويح ، وبقراءة القرآن والتهجد والذكر والدعاء.

ولما كانت ليلة القدر غير محددة ولا معينة بل هى فى العشر الأواخر من شهر رمضان، وفى الوتر من العشر الأواخر، ويتناول الغفران الذنوب الصغيرة، وقال الإمام النووى: المعروف أنه يختص

---

(١) سورة الكهف (١١٠).



بالصغائر، وبه جزم إمام الحرمين. ويجوز أن يخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة.

وعند الإمام النسائى (ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، ولكن كيف تغفر الذنوب المتأخرة التى لم تفعل بعد؟

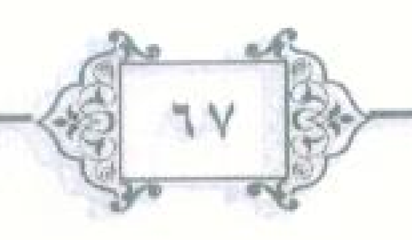
والجواب على هذا هو كما روى فى شأن أهل بدر: "اعملوا ما شئتم فقد غفر لكم".

ومحصل الجواب إنه قيل : إنه كناية عن حفظهم من الكبائر فلا تقع ، وقيل معناه : أن ذنوبهم تقع مغفورة.

✦ ✦ ✦

وهل يحصل الثواب المترتب على ليلة القدر لمن أقامها، أو يتوقف ذلك على كشفها له؟

جماعة من العلماء منهم الطبرى وغيره يقولون : إن الثواب المترتب على ليلة القدر يحصل لمن اتفق له قيامها بالعبادة، وإن لم يظهر له شىء ، ولا يتوقف الفضل الحاصل له على كشفها أو ظهور شىء من العلامات.



ماذا صنع الخصام.. في ليلة القدر ؟

حدث أن تخاصم رجلان فكانت خصومتهما سببا لرفع معرفة ليلة القدر.. فكيف كان ذلك؟

عن [1] عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال : خرج النبى (ﷺ) ليخبرنا بليلة القدر. فتلاحى رجلان من المسلمين، فقال: خرجت لأخبركم بليلة القدر فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة.

إن ليلة القدر ولم لن ترفع بسبب الملاجاة ، وإنما رفع تحديد معرفتها بدليل قوله (ﷺ) : "التمسوها".

وينبه رسول الله (ﷺ) على أن رفعها يكون خيرا بقوله: ﴿وَعَسَى أَنْ يكون خَيْرا لَكُم﴾ يريد بذلك بيان أن إخفاءها يستدعى قيام الشهر كله أو العشر الأواخر كلها بخلاف ما لو تحدد وقتها.

ومعنى تلاحى رجلان : أى تخاصما وتنازعا، وفى رواية أخرى : "فجاء رجلان .. مختصمان معهما الشيطان".

---

(١) رواه البخارى.



وذكر الإمام الحافظ ابن حجر فى شرحه ما استنبطه السبكى الكبير من هذه القصة : استحباب كتمان ليلة القدر لمن رآها.

قال : ووجه الدلالة أن الله قدر لنبيه أنه لم يخبر بها، والخبر كله فيما قدر له، فيستحب اتباعه فى ذلك.

قال : والحكمة فيه أنها كرامة ينبغى كتمانها بلا خلاف بين أهل الطريق من جهة رؤية النفس فلا يأمن السلب، ومن جهة ألا يأمن الرياء، ومن جهة الأدب، فلا يتشاغل عن الشكر لله بالنظر إليها وذكرها للناس، ومن جهة أنه لا يأمن الحسد فيوقع غيره فى المحظور، ويستأنس له. بقول يعقوب عليه السلام ﴿يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ﴾ .

وإذا كانت الملاحاة سبباً لرفع تعيينها، والخصومات تمنع الخير، فإن واجب المسلمين أن يكونوا متحابين متآلفين يحب كل منهم لأخيه ما يحب لنفسه، ومن كانت بينه وبين أخيه المسلم خصومة فليبادر بالصلح ، ومن كانت بينه وبين أحد أرحامه قطيعة فعليه أن يقوم بصلة رحمه، وألا يترك الناس للخصومات تأكل العلاقات وتدمر وشائج الود والألفة فيما بينهم ، فإن الخير يرتفع من الأرض بسبب الخصومات والخلافات ، وإن الخير والبركة ينتشران فى الأرض حين يتراحم العباد ويتآلفون "الراحمون يرحمهم الرحمن".



ليلة... لها علامات ومواقيت!

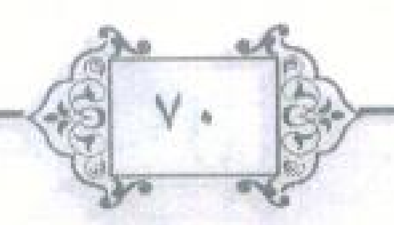
عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رجالا من أصحاب النبى (ﷺ) أروا ليلة القدر فى المنام فى السبع الأواخر .. فقال رسول الله (ﷺ) : "أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر، فمن كان متحريها فليتحرها فى السبع الأواخر"(١).

لليلة القدر منزلة جليلة فى الإسلام، فهى خير من ألف شهر، وفيها تتنزل الملائكة والروح فيها بإذن الله سبحانه وتعالى من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر.

ولم يشأ الله سبحانه أن يحدد ميقات ليلة القدر تحديدا دقيقا واضحا حتى لا يتكل الناس وإنما أخفى الله تعالى وقتها ليقوم المسلمون بإحياء أكبر وقت ممكن من أيام رمضان ولياليه، وذلك جار فى كثير من الأمور، فقد أخفى الله تعالى ساعة الموت ووقت انتهاء الأجل، لتستمر الخشية من الله تعالى ، ويستمر المسلم فى طاعة ربه.

---

(١) رواه مسلم.

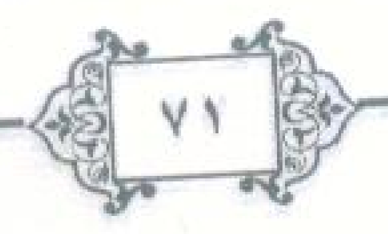


وفى قول الرسول (ﷺ) : "أرى رؤياكم قد تواطأت فى السبع الأواخر" ما يوهم ظاهره التعارض مع رواية البخارى "أن أناسا أروا ليلة القدر فى السبع الأواخر ، فقال النبى (ﷺ) التمسوها فى السبع الأواخر"، فرواية مسلم أفادت تواطؤ رؤياهم على السبع، ورواية البخارى أفادت أن منهم من رآها فى السبع ومنهم من رآها فى العشر؟

ويجاب على هذا بأن المراد بالتواطؤ التوافق، وهو أعم من أن يكون الحديث بلفظه أو بمعناه.

فالبخارى لم يلتزم فى رواية الحديث بلفظ التواطؤ، وأفراد السبع داخلة فى العشر، فرأى البعض أن ليلة القدر فى السبع، ورأى الآخرون أنها فى العشر، وكانوا كأنهم قد توافقوا على السبع، فأمرهم الرسول (ﷺ) بتحريها فى السبع الأواخر. وذلك لتوافق الطائفتين على السبع.

وقد رأى بعض العلماء أن المراد بالسبع المطلوب تحرى ليلة القدر فيها هى السبع الأواخر من رمضان : وذلك لما ثبت عن على رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : "اطلبوا ليلة القدر فى العشر الأواخر من رمضان فإن غلبتم فلا تغلبوا على البواقى".



وما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله (ﷺ) : "التمسوها فى العشر الأواخر (يعنى ليلة القدر) فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقى".

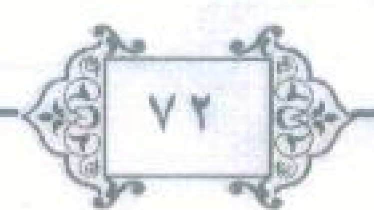
فهذا يدل على ترجيح الرأى القائل بأنَّ ليلة القدر فى أواخر العشر.

ورأى بعض العلماء أن المراد بالسبع التى أولها ليلة الثانى والعشرين وآخرها ليلة الثامن والعشرين، وذلك لما رواه البخارى وغيره عن ابن عباس أن النبى (ﷺ) قال التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر فى تاسعة تبقى، فى سابعة تبقى، فى خامسة تبقى.

وبسبب اختلاف هذه الروايات وقع اختلاف كبير بين العلماء فى تحديد وقتها، وذكروا آراء كثيرة تزيد على أربعين رأيا.

ولليلة القدر إمارات وعلامات، ومعظمها لا يكون إلا بعد مضى تلك الليلة.

ومن هذه العلامات طلوع الشمس على صفة معينة، وهى أنها لاشعاع لها ، لما روى عن زر بن حبيش قال سمعت أبى بن كعب



يقول : من قام السنة أصاب ليلة القدر – فقال أبى : والله الذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان يحلف ما يستثنى ، والله إنى لأعلم أى ليلة هى؟ هى الليلة التى أمرنا رسول الله (ﷺ) بقيامها ، هى ليلة سبع وعشرين وامارتها أن تطلع الشمس فى صبيحة يومها بيضاء لا شعاع لها"(١).

وروى ابن خزيمة من حديث ابن عباس مرفوعا : "ليلة القدر طلقة، لا حارة ولا باردة، تصبح الشمس يومها حمراء ضعيفة".

ولأحمد من حديث عبادة "لا حر فيها ولا برد وأنها ساكنة صاحية وقمرها ساطع".

ويلاحظ أن هذه العلامات الأخيرة تكون أثناء الليلة، وهذه الامارات هى التى جاءت بها السنة الشريفة.

وليست ليلة القدر – كما يزعم البعض – كوكبا يضىء، أو جائزة مادية يتلقفها صاحب الحظ، وإنما ليلة القدر هى ليلة مباركة ذات مكانة جليلة، ينبغى على المسلم أن يقيمها بسائر أنواع العبادات، ولا مانع من ظهور بعض العلامات الدالة عليها.

---

(١) رواه مسلم.

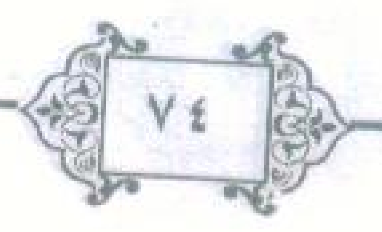


وقال الطبرى : "فى إخفاء ليلة القدر دليل على كذب من زعم أنه يظهر فى تلك الليلة للعيون ما لا يظهر فى سائر السنة، إذ لو كان حقا لم يخف على كل من قام ليالى السنة، فضلا عن ليالى رمضان".

وتعقبه ابن المنير بأنه لا ينبغى إطلاق القول بالتكذيب لذلك، بل يجوز أن يكون ذلك على سبيل الكرامة لمن شاء الله من عباده فيختص بها قومًا ، دون قومٍ، والنبى (ﷺ) لم يحصر العلامة، ولم ينف الكرامة.

قال : ومع ذلك فلا يعتقد أن ليلة القدر لا ينالها إلا من رأى الخوارق، بل فضل الله تعالى واسع، ورب قائم تلك الليلة لم يحصل منها إلاَّ على العبادة من غير رؤية خارق، وآخر رأى الخوارق من غير عبادة، والذى حصل على العبادة أفضل. والعبرة إنما هى بالاستقامة بخلاف الخارق، فقد وقع كرامة وقد يقع فتنة.

وقيل إن المطلع على ليلة القدر يرى كل شىء ساجدا. وقيل يرى الأنوار ساطعة فى كل مكان حتى فى المواضع المظلمة. وقيل يسمع سلاما أو خطابا من الملائكة. وقيل من علاماتها استجابة دعاء من وُفِّقَ لها.



أرجى الليالى.. عند الجمهور

ولترجيح أنها ليلة السابع والعشرين وإيراد أهم علاماتها "هناك روايات عديدة".

فقد روى الإمام مسلم - بسنده - عن عبدة وعاصم بن أبى النجود سمعا زر بن حبيش يقول :

سألت أُبَىَّ بن كعب رضى الله عنه، فقلت : "إن أخاك ابن مسعود يقول : من يقم الحول يصب ليلة القدر"؟

فقال رحمه الله : أراد ألا يتكل الناس، أما أنه قد علم أنها فى رمضان وأنها فى العشر الأواخر، وأنها ليلة سبع وعشرين، ثم حلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين.

فقلت : بأى شىء تقول ذلك يا أبا المنذر؟

قال : بالعلامة أو بالآية التى أخبرنا رسول الله (ﷺ) أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها".

وفى هذا بيان لما كان عليه الصحابة رضوان الله تعالى عليهم من حرص أكيد على العبادات ، ومضاعفة الطاعات وما كانوا عليه



ومما ورد بشأنها كذلك عن عبدالله بن أنيس أن رسول الله (ﷺ) قال : أريت ليلة القدر ثم أنسيتها، وأرانى صبحها أسجد فى ماء وطين. وقال : فمطرنا ليلة ثلاث وعشرين، فصلى بنا رسول الله (ﷺ) فانصرف وإن أثر الماء والطين على جبهته وأنفه، قال: وكان عبدالله بن أنيس يقول: ثلاث وعشرين. أى "ليلة ثلاث وعشرين" على حذف مضاف وهى لغة شاذة، أمَّا الرواية الأخرى فهى : "ثلاث وعشرون".

وأرجح الأقوال إنها فى الوتر من العشر الأواخر، وأرجى الليالى عند الجمهور ليلة سبع وعشرين.

وقد روى عبدالرازق عن ابن عباس قال : دعا عمر أصحاب رسول الله (ﷺ) ، وسألهم عن ليلة القدر، فأجمعوا على أنها فى العشر الأواخر. قال أبن عباس : فقلت لعمر إنى لأعلم وأظن أى ليلة هى. قال عمر : أى ليلة هى؟

فقلت : سابعة تمضى أو سابعة تبقى من العشر الأواخر.

فقال : من أين علمت ذلك؟

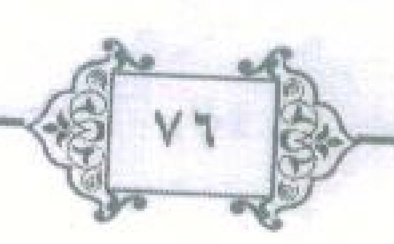


من تحين أيام الخير والبركة وإحيائها بما ينبغى من الذكر والعبادة وسائر القربات ، مع هذا ، فإنهم ما كانوا يتكلون على تلك الأيام أو بعض الليالى الفاضلة، بل كانت جهودهم فى العبادة موزعة على سائر أيام السنة.

وفى هذا الحديث توضيح لما قاله عبدالله بن مسعود رضى الله عنه "من يقم الحول يصب ليلة القدرة" أراد بهذا أن يقيم الناس الحول كله حتى لا يتكلوا على ليلة واحدة ويهملوا باقى أيام السنة من العبادات والطاعات. مع أنه كان يعلم أن ليلة القدر فى شهر رمضان، وإنها ليلة سبع وعشرين وحلف لا يستثنى أنها ليلة سبع وعشرين.

ومما ورد بشأن بعض علاماتها ما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : تذاكرنا ليلة القدرة عن رسول الله (ﷺ) فقال : "أيكم يذكر حين طلع القمر وهو مثل شق جفنه"؟

وفى هذا الحديث إشارة إلى أن ليلة القدر إنما تكون فى أواخر شهر رمضان، لأن القمر لا يكون كذلك عند طلوعه إلا فى أواخر الشهر.



فقلت : خلق الله سبع سماوات ، وسبع أرضين ، وسبعة أيام، والدهر يدور فى سبع ، والإنسان خلق من سبع، ويأكل من سبع، وسجد على سبع، والطواف والجمار وأشياء ذكرها.

فقال عمر : لقد فطنت لأمر فطنا له.

وأهم ما ينبغى التنبيه إليه ليلة ذات قدر وشرف، على المسلم أن ينتهزها بالعبادة وألا يحرم نفسه فيها من الدعاء، ويكثر من قوله: "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى" لما روى عن عائشة رضى الله عنها قال : قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أى ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال : قولى : "اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عنى".

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال: "من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه".

فالعبادة فيها خير من ألف شهر، وأفضل الدعاء أن يسأل العبد ربه سبحانه العفو.

وقال الإمام الصاوى فى تفسيره : وأحسن ما يدعى به فى تلك الليلة العفو والعافية كما ورد.

وينبغى لمن شق عليه طول القيام أن يتخير ما ورد فى قراءته كثرة الثواب. كآية الكرسى وأواخر البقرة وسورة الإخلاص

ويكثر من الاستغفار والصدقة، وورد : من صلى المغرب والعشاء فى جماعة فقد أخذ بحظ وافر من ليلة القدر.

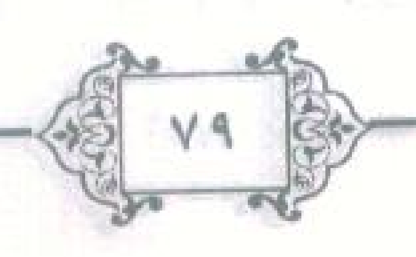
وورد من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام شطر الليل، فإذا صلى الصبح فى جماعة فكأنما قام شطره الآخر.

وورد : من قال لا إله إلا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم.. ثلاث مرات كان كمن أدرك ليلة القدر.

وذلك حين يكون صادق القلب، مخلص النية مقبلا على ربه طاهر الظاهر والباطن. إنما يتقبل الله من المتقين.

ولا شك أن ليلة القدر هى ليلة قبول الدعاء. وفى ليلة القدر تتنزل ملائكة الله تعالى، وتغشى رحمته العباد، ويتقبل الله دعاء من دعاه، فالسعيد من يطهر نفسه من الأحقاد ويخلص فى الإقبال على الله تعالى صلاة وتلاوة للقرآن وذكرا ودعاء واستغفارا.

عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : "إذ كان ليلة القدر نزل جبريل فى كبكبة من الملائكة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد يذكر الله تعالى".



وليلة القدر هى نفحات الله تعالى التى ينفع بها عباده المؤمنين: "إن لربكم فى أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها".

والتعرض للنفحات يكون بالتوبة الصادقة والرجوع إلى الله سبحانه وتعالى وكثرة الذكر والدعاء.

ليلة القرآن.. والمجتمع العظيم

إذا كانت ليلة القدر هى الليلة التى أنزل فيها القرآن، وتتنزلت فيها ملائكة الرحمن ، من كل أمر سلام هى حتى مطلع الفجر.

فلنعلم أن فى ليلة نزول القرآن دعوة مؤكدة إلى أحيائها بالقرآن وفهم معانيه، وتطبيق دعوته إلى الحق والخير والسلام.

ومما لا شك فيه أن للقرآن الكريم منهجه فى بناء المجتمع الإسلامى الفاضل.

وللقرآن الكريم دعوته وهدايته إلى أقوم السبل وأعظمها كما قال الله تعالى : "﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾".

ودعوة القرآن الكريم إلى بناء المجتمع المثالى لا يقتصر على ما فرضه من حدود على الجرائم والشرور.. لتنقية المجتمع منها



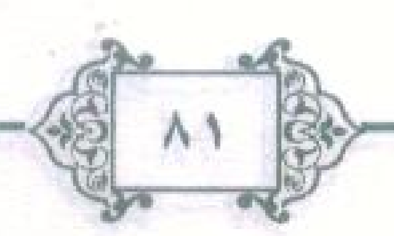
فحسب، ولا على النواهى والتحذيرات التى تحرم على المسلم ارتكاب الرذيلة أو فعل القبيح أو الإهمال فيما وجب عليه فقط، كما لا تقتصر على ما شرعه الله تعالى من عبادات ومعاملات وجهاد لا غير.

ولا تقتصر كذلك على ما جاء من الفضائل أو الأخلاق فى ذروتها كالإيثار والإحسان إلى من أساء وغير ذلك بل إن دعوة الإسلام تضمنت مع كل هذا وذاك "الأسوة الحسنة" التى تمثلت فى رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، وبلغ فيها أسمى الدرجات، فلا يكفى للرائد والمعلم أن يلقى توجيهاته دون أن تكون أعماله وسلوكه قائمة على أعلى المستويات فيما يأمر أو ينهى عنه.

والمعلوم أن فى الإنسان فطرة خيرة كريمة، ونزعة بشرية مقابلة، وكل واحدة من هاتين تحاول اجتذاب الإنسان إلى صفها، فمن زكى نفسه فقد أفلح. ومن أهملها فقد ضل ضلالا مبينا ﴿ **وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا*** ﴾ (١).

---

(١) سورة الشمس (٧ــ١٠).

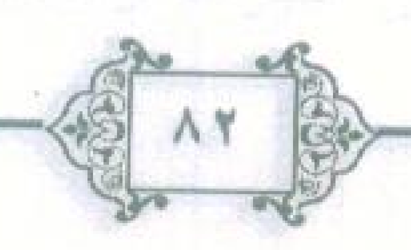


ولكى يكون السلوك دائم النقاء، موصول الخير، مأمونا عليه من الانزلاق فى وحل المعصية، والشرور، جاءت توجيهات الإسلام لتخاطب الظاهر والباطن، ولتستحث فى الإنسان فطرته الطيبة وتحرك أشعتها مضيئة صوب الحق والخير.

ولا يجعل الإسلام الحساب على مجرد شكل العمل وصورته، بل على روحه ونية فاعله، قال (ﷺ) : "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى" وقال عليه الصلاة والسلام: "إنما يبعث الناس على نياتهم".

وهنا يتجلى ما يتضمنه الدين من بعث لقوى الخير الكامنة. وإطفاء لنزعات الشر الطائشة فى داخل النفس الإنسانية، إن قوانين الدنيا قد يفلت البعض منها بحيلة ما، فلا يقع تحت طائلة العقاب، أما بالنسبة للقوانين الإلهية فمهما أخفى العبد جريمته . فلن تخفى على علام الغيوب الذى يعلم السر وأخفى.

ولهذا كان الإسلام فى دعوته يجمع كل صفات الظاهر والباطن ويغرس فى النفس الإنسانية روح المراقبة ومعانى الخير الكاملة.. وينقى القلب دائما ويجعله على صلة وثيقة بالله وبالناس.



وسنرى كيف نادى الكتاب العزيز والسنة الشريفة إلى كل هذا، وكيف كانت تقوى الله تعالى هى أهم الركائز، وعلى ضوئها تنبثق كل الفضائل والأخلاق.

فلقد أرسى الإسلام قاعدة المثالية بالنسبة للأفراد والجماعات، والأمم والشعوب، وعلى ضوئها يقوم بناء المجتمع المثالى، هذه القاعدة القرآنية هى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُم﴾(١) فالمجتمع المثالى: هو الذى جعل التقوى شعارا، وطبقها سلوكا. فآتت ثمارها حقيقة.

وقد وضح القرآن الكريم سمات هذا المجتمع الرفيع، وبين أنه هو الذى يجعل القرآن هداه ﴿ ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ*الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ*﴾ (٢).

ويرسم القرآن صورة هذا المجتمع المتكامل فى مبادئه، بأنه صحيح العقيدة فى دينه، ومتعاون فى معاشرته، مهذب النفس فى سائر معاملاته وعلاقاته.

---

(١) سورة الحجرات (١٣).
(٢) سورة البقرة (٢ـ٤).



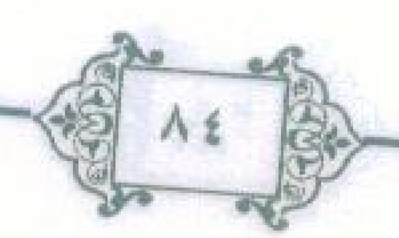
١- اما صحة العقيدة : فتكون بالإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين.

٢- وأما تعاونه فى المعاشرة : فيكون بإيتاء المال — مع حبه له — لأصحاب الحقوق والمحتاجين.

فقد روى مسلم بسنده — عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى النبى (ﷺ) فقال : يا رسول الله أى الصدقة أعظم أجرا؟ قال : "أما وأبيك لتنبأنه : أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان ".

٣- وأما تهذيب النفس فى سائر المعاملات والعلاقات: فيكون بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، والوفاء بالعهد ، والصبر فى كل الأحوال وفى أوقات الشدائد ، وعند لقاء العدو.

إن من يجمع هذه المبادئ فقد صار صادقا فى دينه، واتباعه للحق وطلبه للبر، وهو بحق تقى .. والمجتمع الذى يتسم بها هو المجتمع المثالى الفاضل ويجمع هذه الصفات قوله تعالى : ﴿إِنَّهُمْ



كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ* كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ*وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾(١).

هذه المبادئ كلها تشير إلى قول الله تعالى : ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾(٢).

وفي موطن آخر من سورة "الذاريات" يصور القرآن الكريم صورة المجتمع المثالي بأنه مجتمع تقي بلغ في رقيه وتقاه إلى درجة الإحسان التي أشار إليها الرسول (ﷺ) بقوله : "أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك". وقبل أن يذكر ملامح هذا المجتمع يبين جزاء أصحابه، وما أعده الله تعالى من جنات وعيون. وما هم

(١) سورة الذاريات (١٦ــ١٨).
(٢) سورة البقرة (١٧٧).



عليه من رضا تام، وقبول حسن لما أتاهم ربهم، فيقول الله تعالى : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ*آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ*كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ*وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ*وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾(١).

إن درجة الإحسان التى أشارت إليها الآيات السابقة، لهى أمان للمجتمع ، فوق ما لها من منزلة، وما لأصحابها من أجر وافر عند الله، هى أمان من الخوف والفزع والقلق النفسى، وهى أمان من الحزن الذى يصاب به غير المحسنين فى أعمالهم وعباداتهم . قال تعالى ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ للهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

وتفسر الآيات الشريفة درجة الإحسان فى التقوى والعمل، بأنها ترقى بالمجتمع إلى الدرجات العلا..

١- إنهم يهجعون فى طائفة قليلة من الليل، ويقضون سائر الليل فى العبادة.

(١) سورة الذاريات (١٥ـ١٩).

٢- ومع قلة هجوعهم، وكثرة تهجدهم ينهضون فى الأسحار ويستغفرون ربهم وكأنهم لم يقضوا الليل فى العبادات .. فهم يصلون فى الرقى بالعبادات من نوع إلى آخر ولا يركنون لما قدموا من طاعة أو سهر وتهجد بل مع هذه الاجتهادات يكثرون من الاستغفار وكأنهم مذنبون.

٣- ثم يقدمون بعد هذا الدليل على صدق الإيمان، وإحسان الطاعة، وذلك بالبذل والإنفاق ولا يقصرون البذل والعطاء على السائل الذى يسأل، بل يبذلون وينفقون على من يسأل ، كالمحروم وهو: المستجدى ، والمتعفف الذى يظنه بعض الناس غنيا. لعدم سؤاله فيحرم الصدقة، ومصداق ذلك فى موطن آخر، قول الله تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ*فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وإذا كان القرآن الكريم قد بين جزاء قيام الليل بهذه الصورة : ﴿فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.



فقد أكدت السنة الشريفة عظمة هذا الجزاء: عن أبى هريرة رضى الله عن رسول الله (ﷺ) قال : قال الله تعالى : ﴿أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر﴾ قال أبو هريرة : اقرأوا إن شئتم : {فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين}.

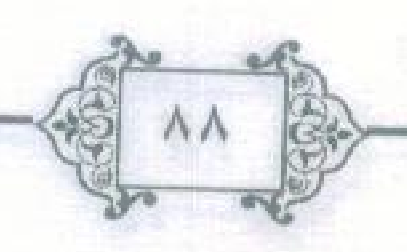
وأما جزاء الاستغفار وثمرته : فواضح فى قول الله تعالى :

﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا* يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا*وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾.

ويقول الرسول (ﷺ) : "من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجا ومن كل هم فرجا ورزقه من حيث لا يحتسب".

وأما فضل الإنفاق وجزاؤه : فقد قال تعالى:﴿لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾.



وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال "إن ملكا بباب من أبواب السماء يقول : من يقرض اليوم يجز غدا وملكا بباب آخر يقول : اللهم أعط منفقا خلفا وعجل لممسك تلفا".

هذه العناصر الثلاثة : قيام الليل، وعدم الاتكال على ذلك فيكثر من الاستغفار ، ثم إقامة البرهان على الصدق فى جميع الفضائل بالإنفاق ، كما قال الرسول (ﷺ): "والصدقة برهان" هذه كلها تشكل عناصر الإحسان الذى هو عنوان المجتمع المثالى الذى أخذ نفسه بتقوى الله تعالى والإحسان فى عبادته ومعاملاته.

والناس فى نظرهم للمثالية يختلفون ، وينقسمون إلى قسمين:

أحدهما : يراها فى حب الشهوات ، وهؤلاء هم حزب الشيطان وعشاق الدنيا الذين غرتهم الأمانى وغرهم بالله الغرور.

والآخر : يراها فى تقوى الله تعالى، وهؤلاء هم حزب الله ﴿ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

وقد بين القرآن الكريم أن القسم الثانى هو الذى على حق، وهو الذى قد أعد له ربه جزاء عمله على نوعين:



الأول : جسمانى نفسى، وهو الجنة والأزواج المطهرة.

والثانى : روحانى عقلى، وهو رضوان الله سبحانه وتعالى.

ويصور القرآن الكريم نوعين من المجتمع فى قول الله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ * قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

ثم تبرز لنا الآيات الكريمة سمات هذا المجتمع العظيم ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ * الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالأَسْحَارِ﴾.

أنهم رتبوا طلب المغفرة على الإيمان، وابتهلوا إلى الله بصدق إيمانهم ليغفر لهم.

كما أنهم صابرون . والصبر ضياء، وقد قال الله تعالى فى جزاء الصابرين : ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ وقال تعالى : ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ وقال

(ﷺ) "عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن أن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر.. فكان خيرا له". ثم يصفهم بعد ذلك بالصدق، والصدق يكون في القول والعمل. وقد قال الله تعالى فى جزاء الصادقين: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ * لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ * لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصادقين﴾.

وقال رسول الله (ﷺ) فى ثمرة الصدق ونتيجته، وعاقبة الكذب ونهايته : "إن الصدق يهدى إلى البر وإن البر يهدى إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإن الكذب يهدى إلى الفجور وأن الفجور يهدى إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا".

وحين يصفهم بالعبادة يصفهم بالمداومة عليها، والحرص على روحها ولبابها لا على الشكل والمظهر فحسب، فيصفهم "بالقانتين".

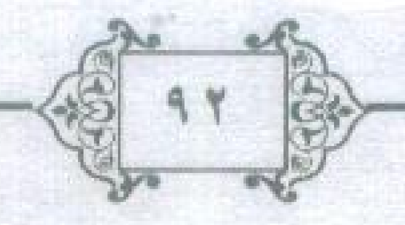
وأما الصفتان التاليتان وهما : الإنفاق، والاستغفار، فبعض المفسرين يرى أن المراد بالاستغفار هنا الصلاة وقت السحر.

وقد أمر الله تعالى عباده بالأخذ بأسباب المغفرة والجنة، ووجههم إلى المسارعة فى ذلك، ولكن الأمر والتوجيه جاء بصيغة تقتضى تحقيق هذا الجزاء العظيم الذى أعد لهم، لأنهم اتقوا ربهم حق تقاته، وقدم الجزاء أولا، ليبين أنه المتكفل به، والضامن له، ثم ذكر ـ بعد ذلك ـ سماتهم وأوصافهم .. ثم يختم ببيان الجزاء، وليوضح أنه إنما جاء وفق إيمانهم وعملهم ، لأنه لا يضيع أجر من أحسن عملا، وليوضح أيضاً أنه مؤكد عند الله سبحانه وتعالى.

وفى معرض تعداد أوصاف المتقين الذين سموا فى أعمالهم إلى مراقى الفلاح والذين كونوا بمثاليتهم الفذة أرقى مجتمع إنسانى على ظهر الأرض. وفى معرض تعداد الأوصاف، ذكر نوعين من الأعمال، عليهما تدور سعادة الأمة التى ينتمون إليها كالإنفاق، والسعادة النفسية للعامل ذاته .. هذان النوعان هما :

١- العمل البدنى كالإنفاق.

٢- والعمل النفسى كعدم الإضرار.



هذه الملامح السابقة يصورها قول الله تعالى : ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ *وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ*أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.

وهكذا تطلعنا هذه الآيات الكريمة على خمس سمات إذا تحققت تكاملت بها صورة المجتمع المثالى :

أولاً : ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾أى فى حالة الرخاء وفى حالة الشدة، والسراء من السرور، أى فى الحالة السارة التى يستشعر فيها الإنسان السعة واليسر. و"الضراء" : من الضرر أى فى الحالة الضارة التى يستشعر فيها الإنسان الضيق والعسر، وقد روى عن ابن عباس تفسيرهما باليسر والعسر.



وهنا لفتة إلهية حكيمة. حيث بدأ صفات المتقين بالإنفاق، وذلك لسببين :

١- لمقابلته بالربا الذى نهى عنه فى الآية السابقة فى قول الله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تفلحون﴾.**

فإذا كان فى الربا استغلال من الغنى للفقير، وانتهاز لحاجته وفاقته لأكل ما له بغير وجه حق.. فإن فى الصدقة مساعدة للفقير وعونا له، لا يبتغى من الفقير جزاءً ولا شكورا.

٢ـ الإنفاق فى جميع الحالات ـ اليسر والعسر ـ دلالة على صدق الإيمان وبرهان على قوة اليقين.. وهذا هو شأن المتقين، لا يجرهم اليسر إلى البطر، ولا يوقعهم العسر فى القنوط، فهم لا يقتصرون فى تعاونهم على حالة الرخاء والنعمة، بل هم فى الحالين سواء، فلما كان الإنفاق أدل على التقوى، وأعظم نفعا للمجتمع الإنسانى من سائر الأعمال الأخرى .. استهلت الآية الشريفة موكب المتقين بالإنفاق.

ثانيًا : "والكاظمين الغيظ" وهم الذين يحبسون غيظ نفوسهم بالصبر عندما يهضم لهم حق من الحقوق مادية كانت أو معنوية، وهذه الصفة تقتضى ضبط النفس وكبح جماحها، حتى لا تنزلق فى الشر فتكون فتنة.

وقد بين الرسول (ﷺ) درجة كظم الغيظ وثمرته فى قوله : "من كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيره فى أى الحور شاء".

ثالثاً : "والعافين عن الناس" وهنا يرقى الإسلام بنفس المسلم، فبعد أن أطفأ جذوة الشر التى تكاد تندلع بها النفس الإنسانية، وذلك بكظم الغيظ، انتقل بالمسلم إلى درجة أسمى، فيها معالجة للنفس وارتفاع إلى مرتبة أسمى من السابقة، فقد يكظم الإنسان غيظه ولا يزال فى قلبه شىء من الضغينة ، أما العفو فيمسح ما بقى من شر حتى يعود القلب نقيًّا.

وعن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله (ﷺ) : "ألا أنبئكم بما يشرف الله به البنيان ويرفع الدرجات؟ قالوا: نعم يا رسول الله. قال: تحلم على من جهل عليك وتعفو عمن ظلمك ، وتعطى من حرمك وتصل من قطعك".

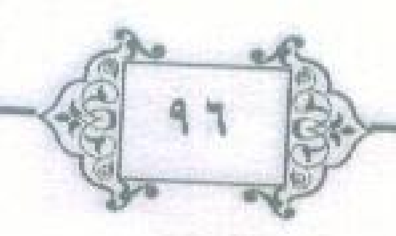
رابعاً : ﴿واللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾. وإذا كان العفو منزلة فوق العدل كان عند بعض العلماء ـ إحسانا. وعلى هذا فمعنى ﴿واللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾أى الذين أحسنوا فى معاملتهم وعفوهم.

ولكننى أرى أن قوله تعالى : ﴿واللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ صفة رابعة، زائدة على ما سبق، وقد جاء فى صيغة تبرزه بكونه محبوبا عند الله سبحانه، فهى درجة زائدة بلغ أصحابها فى مثاليتهم مدى عظيما، بحيث لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو فحسب، بل إنهم يحسنون إلى من أساء إليهم.

روى أن بعض السلف الصالح غاظه غلام له غيظا شديدا فهم بالانتقام منه فقال الغلام: "والكاظمين الغيظ" فقال : كظمت غيظى. قال الغلام: "والعافين عن الناس" قال : عفوت عنك. قال: "والله المحسنين" قال : اذهب فأنت حر لوجه الله.

خامسًا : ﴿وَالَّذينَ إذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾.

وهذه الصفة ، تكشف عن الطبيعة البشرية وأنها عرضة للخطأ والزلل، فالمسلم التقى إذا اقترف معصية فى حالة ضعف



نفسى يبادر بالرجوع إلى ربه مستغفرًا تائبا. وأن سماحة الإسلام لا تدع أمثال هذا النمط فى مؤخرة القافلة ، بل ترفعهم إلى مصاف المتقين ما داموا قد ذكروا ربهم، واستغفروه، ولم يصروا على ما فعلوا.

ومما سبق يمكننا أن نبرر هنا سمات هذا المجتمع المثالى لنكون بمثابة الأضواء الكاشفة للأمة الإسلامية حتى تترسم الخطى الصحيحة التى أشار إليها الإسلام فى القرآن والسنة، وهذه السمات منها ما يتعلق بصحة العقيدة وهذا عن طريق الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر.. وما يستلزمه من عبادات ومعاملات.

(أ) التعاون والتكافل الاجتماعى، هذا عن طريق التعاون والإنفاق فى جميع الأحوال.

(ب) تهذيب النفس الإنسانية. وترويضها، وكبح جماحها وفتح سبل الخير والحق لها. هذا عن طريق : الصلاة والزكاة ، الصوم، والحج للمستطيع، والوفاء بالعهد، والصبر فى جميع الأحوال.

(ج) سموهم فى العبادة والقرب من الله.. وهذا عن طريق: قيام الليل، والاستغفار فى الأسحار.

سنة الاعتكاف

قال الإمام مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا أبو معاوية عن يحيى بن سعيد عن عمرة عن عائشة رضى الله عنها، كان رسول (ﷺ) إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه وأنه أمر بخبائة فضرب، أراد الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان فأمرت زينب بخبائها فضرب. وأمر غيرها من أزواج النبى (ﷺ) بخبائها فضرب. فلما صلى رسول الله (ﷺ) نظر فإذا الأخبية فقال: البر تردن؟ فأمر بخبائة فقوض وترك الاعتكاف فى شهر رمضان حتى اعتكف فى العشر الأول من شوال.[1]

(الاعتكاف) لغة هو المكث، والحبس، والاستقامة والاستدارة، قال العجاج :

فهن يعكفن به إذا حجا عكف النبيط يلعبون الفنزجا

والنبيط قوم من العجم، والفنزج لعبة للعجم يأخذ أحدهم بيد صاحبه ويستديرون، وحجا أقام بالمكان.

وتعريف الاعتكاف فى الشرع : هو المكث فى المسجد من شخص مخصوص بصفة مخصوصة، ويسمى الاعتكاف جوارا.

---

(١) رواه مسلم..



و(الخباء) هو خيمة صغيرة تكون لشخص يعتكف فيها. (آلبر تردن) البر هو الطاعة، وجاء هنا بهمزة الاستفهام الممدودة، والبر منصوب على أنه مفعول به، ويرى البعض أن الاستفهام هنا إنكارى.

قال القاضى : قال (ﷺ) هذا الكلام إنكارا لفعلهن، وسبب إنكاره لفعلهن أنه خاف أن يكن غير مخلصات فى الاعتكاف.

(فأمر بخبائه فقوض) أى نقض وأزيل.

إن سنة الاعتكاف من السنن العظيمة ، التى شرعت فى الإسلام، تخفيفا لغلواء الحياة، وتلطيفا لماديتها الجارفة الطاغية، وهذه السنة الإسلامية الكريمة هجرها أكثر المسلمين، وانصرفوا عنها. وربما كان الداعى لهذا الانصراف هو كثرة شواغل الناس، وتعدد مطالب الحياة، ولكن الحقيقة أن الناس كلما تعددت مطالبهم، كانوا أحوج إلى هذا اللون من العبادة ، ليجددوا به نشاطهم. ويستجموا من عناء الحياة وزحمتها فترة من الوقت يعيشون مع ربهم سبحانه وتعالى، وبهذا تتبين لنا حكمة الاعتكاف.

يقول ابن القيم فى حكمة الاعتكاف : "اقتضت رحمة العزيز الرحيم بعباده أن شرع لهم من الصوم ما يذهب فضول الطعام والشراب، ويستفرغ من القلب أخلاط الشهوات المعوقة له عن سيره

إلى الله تعالى وشرعه بقدر المصلحة بحيث ينتفع به العبد في دنياه وأخراه، ولا يضره ، ولا يقطعه عن مصالحه العاجلة والآجلة، وشرع لهم الاعتكاف الذى مقصوده وروحه عكوف القلب على الله تعالى وجمعيته عليه والخلوة به والانقطاع عن الاشتغال به وحده سبحانه ، بحيث يصير ذكره وحبه والإقبال عليه فى محل هموم القلب وخطراته، فيستولى عليه بدلها، ويصير الهم به كله، والخطرات كلها بذكره والفكرة فى تحصيل مراميه وما يقرب منه فيصير أنسه بالله بدلا من أنسه بالخلق.."(١).

أما حكم الاعتكاف : فهو مستحب ، ويتأكد استحبابه فى العشر الأواخر من رمضان، لطلب ليلة القدر، وقال ابن بطال. "وفى مواظبة النبى (ﷺ) ما يدل على تأكيده" ويكون الاعتكاف واجبا بالنذر، قال الشوكانى : وأعلم أنه لا خلاف فى عدم وجوب الاعتكاف إلا إذا نذر به.

والحديث الذى معنا يوضح لنا صورة اعتكافه (ﷺ) وبيان إخلاصه فى الاعتكاف، "وتنزيه ساحته عن أى شاغل من الحياة. وفى قولها "إذا أراد أن يعتكف صلى الفجر ثم دخل معتكفه" ما يفيد

---

(١) زاد المعاد.



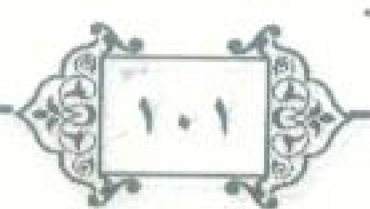
أن الاعتكاف يبدأ من أول النهار، وقد ذهب إلى هذا الرأى الأوزاعى والثورى والليث فى أحد قوليه، محتجين بهذا الحديث.

وذهب مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد إلى أنه يدخل فيه قبل غروب الشمس، وإذا أراد اعتكاف شهر أو اعتكاف عشر، وأولوا هذا الحديث على معنى: أنه دخل المعتكف ، وانقطع فيه، وتخلى بنفسه بعد صلاة الصبح، لا أن ذلك وقت ابتداء الاعتكاف، بل كان من قبل المغرب معتكفا لا بثا فى جملة المسجد فلما صلى الصبح انفرد[1]. أ.هـ.

وأنه أمر بخبائه فضرب وأراد الاعتكاف فى العشر الأواخر من رمضان، فأمرت زينب بخبائها فضرب، وأمر غيرها من أزواج النبى (ﷺ) بخبائه فضرب، وهن : عائشة، وحفصة وزينب. ويؤيد ذلك ما وقع فى رواية البخارى بلفظ: "أربع قباب" وفى رواية للنسائى: "فلما صلى الصبح إذا هو بأربعة أبنية، قال: لمن هذه؟ قالوا: لعائشة وحفصة وزينب " أما الخباء الرابع فهو خباؤه (ﷺ).

فلما صلى رسول الله (ﷺ) الفجر نظر فإذا الأخبية، فقال: آلبر تردن؟ فأمر بخبائه فقوض وترك الاعتكاف. قال القاضى: قال (ﷺ) هذا الكلام إنكارا لفعلهن. وقد كان (ﷺ) أذن لبعضهن فى ذلك.

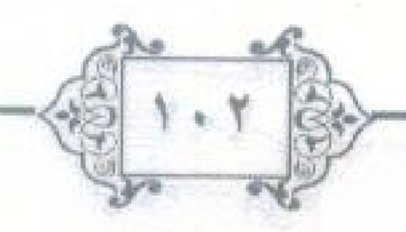
(١) شرح النووى ج٣ س١٤٣.



أما سبب إنكاره فهو أنه خاف أن تشوب اعتكاف أزواجه شائبة فيكن غير مخلصات فى الاعتكاف فيكون رغبتهن هى القرب من رسول الله (ﷺ) لغيرتهن عليه، أو لغيرته عليهن، هذا بالإضافة إلى ما قد يترتب على وجودهن فى المسجد من الضرر، فالمسجد يجمع الناس، وقد يحتجن إلى الخروج والدخول، أو أنه أنكر عليهن ذلك. لما رآهن عنده فى المسجد فأشبهت حالته وجوده فى منزله وحضوره مع أزواجه، وعلى هذا يذهب مقصود الاعتكاف، وهو التخلى عن الأزواج وشواغل الحياة.

ويحتمل سبب آخر لإنكاره عليهن : وهو أنهن قد ضيقن المسجد بالأبنية، إذا فالاعتكاف عبادة ينبغى أن تؤدى فى إخلاص كامل، وينبغى أن تكون نقية من أية شائبة من الشوائب، فالاعتكاف فى ذاته عبادة قريبة من الصيام فى نقائها وبعدها عن الرياء، فالمعتكف إنسان خلصت نيته، وترك مغريات الحياة، وأقبل على ربه سبحانه وتعالى، ولذا كان أهم أركان الاعتكاف وأولها :

١- النية، كسائر العبادات الأخرى، وإذا كان الاعتكاف فرضا بالنذر، وجب تمييزه عن النفل بنية الفريضة، وإن أطلق الاعتكاف فلم يحدد له مدة معينة، كفته النية وإن طال مكثه، وإذا خرج من المسجد ولم يعزم على أن يعود ثم عاد وجب تجديد

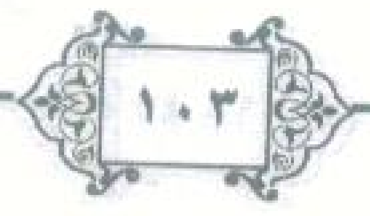


النية حينئذ سواء خرج لحاجة أو لا ، أما إذا عزم على أن يعود فإن هذه العزيمة تقوم مقام النية، ولو قيد الاعتكاف بمدة كيوم وشهر وخرج لغير تبرز وعاد جدد النية وإن لم يطل الوقت، لأنه كان قد قطع الاعتكاف بخلاف خروجه للتبرز فإنه لا يجب أن يجدد النية ولو طال الوقت.

٢- والركن الثانى : المعتكف. ويشترط فيه أن يكون مسلما طاهرا عاقلاً، مميزا.

٣- والركن الثالث : المكث، ضابطه كما قال الإمام النووى: مكث يزيد على طمأنينة الركوع أدنى زيادة، وهذا هو الصحيح، وهناك رأى آخر يقول : بصحة اعتكاف المار فى المسجد من غير لبث. والصحيح الأول. وعبادة الاعتكاف لا يشترط فيها نوع معين من الذكر أو فعل ما من الأفعال، سوى اللبث بنية الاعتكاف ، ويباح للمعتكف الخروج من المسجد لقضاء حاجة أو للتطهر أو للغسل، كما يباح له الأكل والشرب والنوم فى المكان الذى يعتكف فيه مع المحافظة على نظافته، ويباح له أيضًا عقود البيع والزواج.

٤- والركن الرابع : هو المسجد ، فلا يصح الاعتكاف فى غيره ، لأن النبى (ﷺ) وأزواجه وأصحابه اعتكفوا فى المسجد مع



المشقة فى ملازمته، وهذا مذهب مالك والشافعى وأحمد وداود والجمهور، ويستوى فى ذلك الرجل والمرأة.

وذهب أبو حنيفة إلى صحة اعتكاف المرأة فى مسجد بيتها وهو الموضع المهيأ من البيت للصلاة، ولا يجوز ذلك للرجل، واختلف القائلون باشتراط المسجد :

فقال الشافعى ومالك والجمهور : يصح الاعتكاف فى كل مسجد.

وقال أحمد : يختص بمسجد تقام الجماعة الراتبة فيه.

وقال أبو حنيفة : يختص بمسجد تقام فيه الصلوات كلها.

وقال الزهرى وغيره : يختص بالجامع الذى تقام فيه الجمعة.

وعن حذيفة بن اليمان : اختصاصه بالمساجد الثلاثة: المسجد الحرام ومسجد المدينة والأقصى (١) أ.هـ.

ولا يشترط فى الاعتكاف الصوم كما ذهب إلى ذلك الشافعى وأصحابه، وذهب مالك وأبو حنيفة وغيرهما إلى اشتراط الصوم فى الاعتكاف، وأنه لا يصح اعتكاف المفطر، واحتجوا بمثل ما روى

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى.

عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى (ﷺ) كان يعتكف فى العشر الأواخر من رمضان.

أما الشافعى فقد احتج باعتكاف رسول الله (ﷺ) فى العشر الأول من شوال، رواه البخارى ومسلم، وبحديث عمر رضى الله عنه قال : يا رسول الله إنى نذرت أن أاعتكف فى الجاهلية ، قال : أوف بنذرك، رواه البخارى ومسلم، ومعلوم أن الليل لا يكون محلا للصوم فدل هذا على أنه لا يشترط الصوم فى الاعتكاف.

والذى نرجحه : هو عدم اشتراط الصوم فى صحة الاعتكاف، وذلك لورود الأحاديث الصريحة فى ذلك كحديث عمر وغيره، ولكن يستحب للمعتكف الصوم، للاتباع ، وخروجا من خلاف من أوجبه، وفى ذلك كمال للعبادة وسمو بها، وزيادة فى الخير.

بقى الآن أن نوضح ما يبطل به الاعتكاف، وهو أحد أمور : مباشرة النساء ، أو ذهاب العقل، أو الحيض والنفاس بالنسبة للمرأة أو الخروج من المسجد من غير حاجة.

العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة رضى الله عنها قالت : "كان رسول الله (ﷺ) إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد وشد المئزر"(١).

لقد حظى شهر رمضان بخير عميم، وبارك الله سبحانه جميع أيامه ولياليه، وأفاض فيها من الخير والمثوبة، والفضل والمرحمة، ما جعله موسما للعبادات ، يتنافس فيه المسلمون على فعل الخير، لعلهم يرحمون.

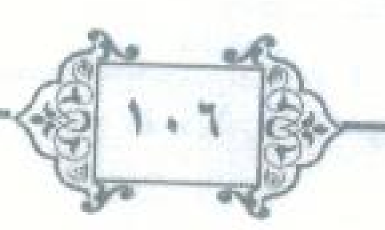
وقد شاءت إرادة الله تعالى أن يكون لبعض أيام الشهر العظيم منزلة خاصة ، لما ورد فيها من فضل وإنعام على الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وعلى المسلمين.

ومن أبرز معالم الفضل فيه : "ليلة القدر" التى أنزل فيها القرآن، والتى كرمها الله تعالى، وأجزل فيها العطاء. فجعلها خيرا من ألف شهر.

وكيف لا ، وهى الليلة التى أنزل فيها القرآن، هدى للناس، ومن أجل نزول القرآن فى شهر رمضان كنعمة من أجل النعم أوجب

---

(١) رواه مسلم.



الله تعالى صيامه شكرا له على نعمته، بجانب ما للصوم من ثمرات عديدة، من أجل هذا اكتسب شهر رمضان مزية على غيره، وكان درة بين شهور السنة، وكان هو الشهر الوحيد الذى ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم مصرحا باسمه، قال تعالى :

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ فرتب الله تعالى فى هذه الآية الكريمة صيام الشهر على نزول القرآن فيه، توضيحا للنعمة، وبيانا لمنزلة القرآن الكريم آخر الكتب السماوية نزولا، والذى جاء تباينا لكل شىء، وهاديا للتى هى أقوم. ولقد كانت ليلة القدر، ليلة نزول القرآن، وعيد ميلاده الشريف، كانت الليلة غير محدودة ولا معينة بميقات محدود معلوم وإنما أبهمت، وأخفاها الله تعالى، بين طيات النور الإلهى، ليستوعب جميع أيام الشهر بكثير من الطاعات. ولقد ورد فى السنة الشريفة، استحباب قيام العشر الأواخر من رمضان ، وذلك لسببين :

أولا : لتحين ليلة القدر والتعرض لنفحات الله تعالى فيها.

ثانيا : للحث على ختام الشهر المبارك بالطاعة، وحسن خاتمته على أكمل وجه.



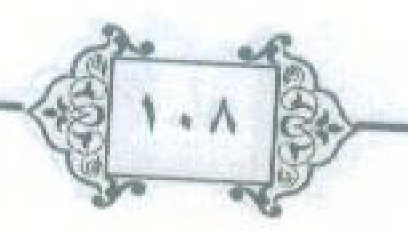
أما بالنسبة للسبب الأول : فقد أخرج البخارى ـ بسنده ـ عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن النبى (ﷺ) قال : التمسوها فى العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر فى تاسعة تبقى، وفى سابعة تبقى وفى خامسة تبقى.

كما حث على أيام الوتر من العشر الأواخر : عن عائشة رضى الله عنها : أن رسول الله (ﷺ) قال : تحروا ليلة القدر فى الوتر من العشر الأواخر من رمضان. أخرجه البخارى.

وأما بالنسبة للسبب الثانى : وهو الحث على ختام الشهر المبارك بالطاعة فهو ما يشير إليه الحديث الذى معنا عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان رسول الله (ﷺ) إذا دخل العشر أحيا الليل، وأيقظ أهله، وجد، وشد المئزر.

وروى أيضًا ـ بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله (ﷺ) ـ يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهد فى غيره"[1]. ونلاحظ هنا فى هذين الحديثين الشريفين، أنه لم يرد تصريح باختصاص الاجتهاد فى العبادة، من أجل ليلة القدر فحسب ، بل إن الاجتهاد هنا عام وشامل من أجل ليلة القدر ومن أجل الحرص على حسن خاتمة الشهر العظيم.

(١) زاد المعاد.



وقد وضح لنا حديث السيدة عائشة رضى الله عنها - الأول - عمل الرسول (ﷺ) عندما يدخل العشر الأواخر من رمضان.

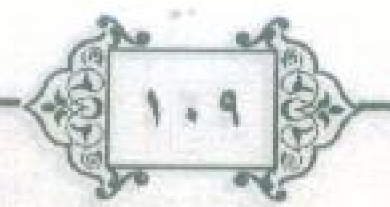
وفى عمله عليه الصلاة والسلام قدوة لنا وأسوة حسنة ينبغى اتباعها : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.(١)

إنها لصورة توضيحية كاملة للعمل النبوى الشريف، تبرز فيها الخصائص النبوية الشريفة، التى ينبثق من هديها التشريع وتتضح منها معالم الحق والكمال، إنه فى عبادته، لا يقصر الأمر على نفسه، بل لابد أن ينبه أهله، ويوقظهم ليؤدوا ما يؤديه ، وليقتدوا به فى جميع أفعاله وأحواله، وقد روى الترمذى ومحمد بن نصر من حديث زينب بنت أم سلمة : "لم يكن النبى (ﷺ) إذا بقى من رمضان عشرة أيام يدع أحدا يطيق القيام إلا أقامه".

وإذا كان هذا هو الهدى النبوى، الذى منه تروى القلوب، وبه تسترشد النفوس وعلى ضوء هداه يأخذ الموجهون والمصلحون والمربون درسا لجميع مجالات الحياة، إذا اتضح لنا ذلك ، فإن الواجب على كل مسلم، وراع، وموجه فى أى موقع كان، وفى أى بلد أو زمان ، أن يراعى توجيه أهله، وتربية أسرته، وأن يترسم

---

(١) سورة الأحزاب (٢١).



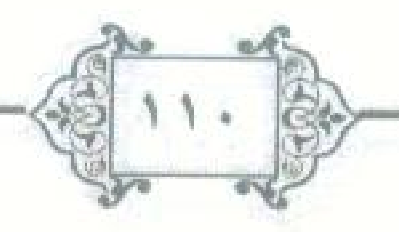
القدوة الحسنة، فى بناء الأسرة، وكيف كان الرسول (ﷺ) لا يدع أهله، بل يوقظهم لتلقى فضل الله تعالى ورحماته.

ولنا فى رسولنا (ﷺ) أسوة حسنة، فلو أن كل راع فى رعيته اجتهد فى أن يكون إماما لأهله، وقدوة حسنة لهم وحاول نقل الصورة النبوية، أو بعضها إلى بيته بين أولاده وزوجته وبناته لقامت الأسرة على عماد من الرشد لا يخور، وعلى هدى من الإيمان يزداد إشراقاً ونوراً، فتطمئن الحياة بالناس، ويهدأ المجتمع بأهله.

وإحياء الرسول (ﷺ) لليل إذا دخل العشر الأواخر من رمضان، هو استغراقه بالسهر، فى الصلاة وغيرها من العبادات.

وفى إحياء الليل إحياء للنفس، لأن النوم أخو الموت، قال الحافظ ابن حجر فى شرح الحديث: "وإضافته إلى الليل اتساعا، لأن القائم إذا حيى باليقظة أحيا ليله بحياته، وهو نحو قوله: "لا تجعلوا بيوتكم قبورًا" أى لا تناموا فتكونوا كالأموات، فتكون بيوتكم كالقبور "أ.هـ.

وكان (ﷺ) يوقظ أهله فى الليل، ويجد ويجتهد فى العبادة - فى العشر الأواخر من رمضان - زيادة على عادته ، كما هو واضح من حديث عائشة الثانى :



"كان رسول الله (ﷺ) يجتهد فى العشر الأواخر ما لا يجتهد فى غيره".

ومعنى جملة، "وشد المئزر" فالمئزر هو الإزار، والمراد الاجتهاد فى العبادة على غير العادة فى غير العشر والتشمير للعبادة فيه، يقال : شددت لهذا الأمر مئزرى: أى تشمرت له، وتفرغت.

وقيل : هو كناية عن اعتزاله (ﷺ) للنساء، لأنه كان متفرغا تفرغا كاملا للعبادة، وبذلك جزم عبدالرزاق عن الثورى واستشهد بقول الشاعر:

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم

عـن النساء ولو باتت بأطهار

وقال الخطابى : يحتمل أن يريد به الجد فى العبادة كما سبق، ويحتمل أن يراد به التشمير والاعتزال معا، كما يحتمل إرادة الحقيقة والمجاز ، فيكون المراد مئزره حقيقة فلم يحله ، واعتزل النساء، وشمر للعبادة.

وبمجموع هذه الآراء العلمية نخلص بنتيجة واحدة هى الانقطاع الكامل للعبادة، ومضاعفة العمل عن أى وقت آخر ، حرصا على تحين ليلة القدر وعلى حسن خاتمة الشهر المبارك.



صيام التطوع

أنواع صيام التطوع

وتشمل أنواع صيام التطوع ما يأتي:

١- صيام ستة أيام من شهر شوال.

٢- صيام الأيام البيض.

٣- صيام يوم وإفطار يوم.

٤- الصيام فى الأشهر الحرم.

٥- الصيام فى شهر ذى الحجة.

٦- صيام يوم عرفة.

٧- صوم شهر المحرم.

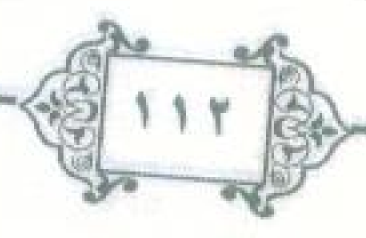
٨- صوم يوم عاشوراء.

٩- الصيام فى شهر رجب.

١٠- الصيام فى شهر شعبان.

١١- حكم صيام يوم الجمعة منفردا.

١٢- حكم صيام يوم السبت منفردًا.



١٣- صيام يوم الاثنين والخميس.

١٤- حكم صيام الدهر.

١٥- صيام التطوع للمسافر والمجاهد.

١٦- حكم الخروج من صيام التطوع.

١٧- حكم صيام العيدين.

١٨- حكم صيام أيام التشريق.

١٩- زكاة الفطر.

صيام ستة أيام من شهر شوال

عن أبى أيوب رضى الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر" رواه مسلم وأبو داود.

وإنما كان له أجر من صام الدهر، لقول الله تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ فإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها فشهر رمضان يعدل صيامه مع فضل الله تعالى بذلك عشرة أشهر كما



تعدل الأيام الستة من شهر شوال شهرين، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فمجموع ذلك عام كامل.

وأيضًا لما روى عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من صام رمضان وستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة من جاء بالحسناء فله عشر أمثالها" رواه ابن ماجه.

وقد استحسن بعض الأئمة ، أن تصام هذه الأيام متوالية عقب يوم عيد الفطر.

فإن فرّق الأيام أو أخّر بعضها أو كلها عن أوائل شهر شوال إلى آخره حصلت فضيلة المتابعة، لأنه يصدق أنه أتبعه ستا من شوال.

ومعنى الحديث :

أن الذى يصوم هذه الأيام من شهر شوال يشبه صيامه صيام الدهر "فذاك صيام الدهر" أى أنه يشبهه فيما لو صام إنسان الدهر دون مضاعفة الأجر، فإنه يحسب له يوم صومه يوماً واحدًا ، أما مع مضاعفة الأجر، فيحسب كل يوم بعشرة أيام والله ذو الفضل العظيم.

والمراد بكونه يوازى أو يشبه صيام الدهر، إنما هو لمن واظب على صيام شهر رمضان وستة أيام من شهر شوال فى كل



سنة فكأنما صام طوال حياته، لأن الحسنة بعشر أمثالها ففى كل عام كأنه صامه، وأما من صام رمضان وصام ستا من شهر شوال كأنما صام سنة واحدة وليس الدهر كله، لأن الحسنة بعشر أمثالها فمن صامها فى سنة فكأنما صام السنة، ومن واظب عليها وصامها الدهر فكأنما صام الدهر كله أى عمره الذى عاشه كله.

والحكمة فى مشروعية صيام هذه الأيام من شهر شوال أنها تجبر النقص الذى قد يحدث فى صيام رمضان.

وعن مالك : أنه يكره صوم هذه الأيام من شهر شوال حذرًا من اعتقاد وجوبها ، وأن يُلحق برمضان ما ليس منه.

وهذا هو السبب فى كراهية الإمام مالك لصيامها، فإذا لم يظن ذلك، وصامها من صامها ، رغبة لما ورد فيها من الأحاديث والفضل والأجر، فإنها مستحبة فى شأنه وله ثوابها وأجرها.



قالت السيدة حفصة رضى الله عنها: "كان رسول الله (ﷺ) يصوم ثلاثة أيام من الشهر: الاثنين والخميس والاثنين من الجمعة الأخرى" (١).

وأحيانا كان عليه الصلاة والسلام يصوم غير الأيام البيض ثلاثة أيام معينة، عن عائشة رضى الله عنها قال : كان رسول الله (ﷺ) يصوم من الشهر السبت والأحد والاثنين، ومن الشهر الآخر الثلاثاء والأربعاء والخميس. (٢)

وقال الحافظ فى الفتح : وهو أشبه وإنما فعل هذا النبى (ﷺ) مراعاة للعدالة بين الأيام، وإنما لم يضم الأيام الستة متوالية كى لا يشق على الأمة الاقتداء به رحمة بهم وهكذا نرى استحباب صيام الأيام البيض وهى ذات الليالى المقمرة من وسط الشهر، واستحباب ثلاثة أيام من كل شهر غير البيض وكان يوزعها حتى تظل الأيام متصلة بالعبادة، ويفرقها حتى لا يكون هناك حرج ولا مشقة لمن يريد من أمته أن يقتدى به (ﷺ).

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والنسائى.

(٢) رواه الترمذى وحسنه.



صيام يوم وإفطار يوم

هذا النوع من الصيام، وهو صيام يوم وإفطار يوم هو المعروف بصيام سيدنا داود عليه السلام، وقد سئل رسول الله (ﷺ) : "كيف من يصوم يوما ويفطر يوما"؟ قال : "ذاك صوم داود ـــ عليه السلام"(١)

وهذا الصوم هو أفضل أنواع الصيام لمن يستطيع القيام به، لأنه ورد وصفه بأنه أحب الصيام، حيث قال (ﷺ) : "أحب الصيام إلى الله صوم داود كان يصوم يوما ويفطر يوما"(٢)

وقال (ﷺ) لعبدالله بن عمرو بن العاص : صم يوما وأفطر يوما وذلك صيام داود عليه السلام، وهو أعدل الصيام.

وقال: قلت: فإنى أطيق أفضل من ذلك؟ قال رسول الله (ﷺ):" لا أفضل من ذلك" قال عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما "لأن أكون قبلت الثلاثة الأيام التى قال رسول الله (ﷺ) أحب إلىّ من أهلى ومالى"(٣) وللعلماء فى هذا النوع من الصيام آراء فذهب بعضهم إلى أن صوم يوم وإفطار يوم أفضل من السرد لظاهر هذا الحديث.

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.



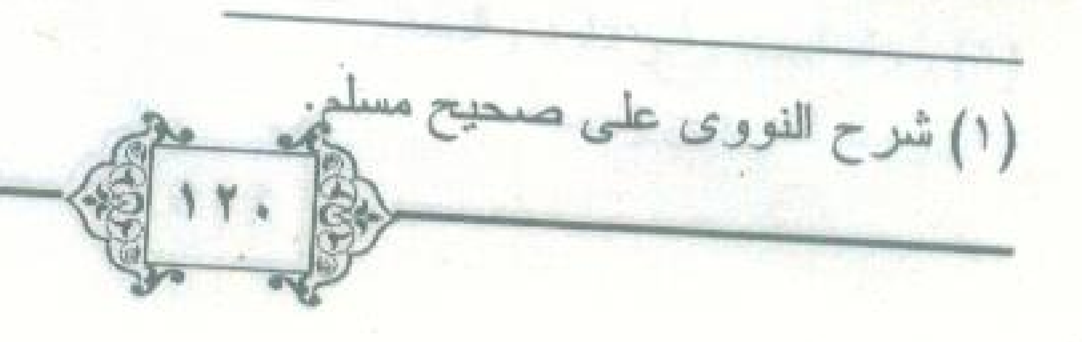
وذهب آخرون إلى تفضيل السرد وتخصيص هذا الحديث بعبدالله بن عمرو ومن فى معناه أى ممن تتناسب أحوالهم وظروفهم مع هذا المقدار من الصوم فكأن تقدير الكلام (لا أفضل من هذا فى حقك) [1].

ومما يؤيد هذا أن الرسول (ﷺ) لم ينه حمزة بن عمرو عن السرد، وأرشده إلى يوم ويوم ولو كان أفضل فى حق كل الناس لأرشده إليه وبينه له فإن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز وصيام يوم أحب الصيام وأفضل الصيام، لأنه يجمع بين العمل الكثير وبين تمكن العبد من أدائه حيث يصوم ثم يفطر ليتقوى، ثم يصوم ثم يفطر، وهكذا فلم يتابع الصيام دائما فيشق على نفسه ولم يتابع الفطر دائما فيتعود عليه ، وهذا النوع مع ما فيه من جهد إلا أنه لا يمكن أن يعتاده إلا أصحاب العزائم القوية، ومثل هذا الصيام يمكن لصاحبه أن يقوم بأداء حق نفسه وأهله وزائره أيام فطره أما الذى يتابع الصوم فلا يمكنه ذلك.

وعن أبى سلمة بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو قال: قال لى رسول الله (ﷺ) : لقد أخبرت أنك تقوم الليل وتصوم النهار قال:

---

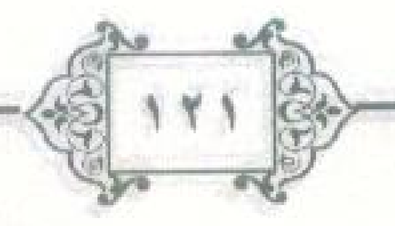
(١) شرح النووى على صحيح مسلم.



قلت يا رسول الله نعم قال : فصم وأفطر وصل ونم فإن لجسدك عليك حقا وإن لزوجك عليك حقا وإن لزوْرك(١) عليك حقًا، وأن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام قال : فشددت فشدّد عليّ قال: فقلت يا رسول الله إنى أجد قوة قال: فصم كل جمعة ثلاثة أيام قال: فشددت فشدّد عليّ قال: فقلت يا رسول الله إنى أجد قوة قال : صم صوم نبى الله داود ولا تزد عليه قلت : يا رسول الله وما كان صيام داود عليه الصلاة والسلام؟ قال: كان يصوم يوما ويفطر يوماً.(٢)

وهذا فى حق القادر عليه المستطيع، وأما غير القادر فعليه أن يأتى من العمل ما يطيقه وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل.

(١) أى الضيف الذى يزورك .
(٢) رواه أحمد .

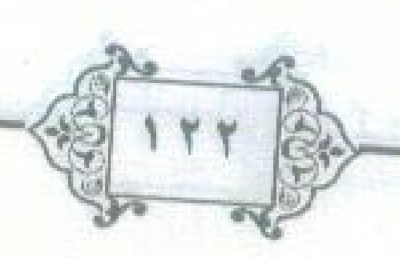


الصوم فى الأشهر الحرم

قال الله تعالى : ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(١) توضح الآية الكريمة عدّة الشهور عند الله تعالى فى شرعه وحكمه وهى اثنا عشر شهرًا كتبها سبحانه عنده فى اللوح المحفوظ يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة شهور محرمة وهى : ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، وإنما سميت بالأشهر الحرم لأنها يحرم فيها القتال فهى معظمة محترمة، وتضاعف فيها العبادات ذلك الشرع القيم العظيم والمستقيم، فلا تظلموا فى هذه الأشهر المحرمة أنفسكم بارتكاب ما حرم الله تعالى.

وعن أبى بكرة أن النبى (ﷺ) قال : "إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم : ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب

(١) سورة التوبة : ٣٦.



مضر الذى بين جمادى وشعبان"[١] وإنما سمى برجب مضر لأن ربيعة كانت تحرم بالحج فى رمضان وتسميه رجبًا، فبين النبى (ﷺ) أنه رجب مضر لا رجب ربيعة.

وقد وردت أحاديث فى فضل صيام شهر المحرم منها: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال (ﷺ) : "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل"[٢].

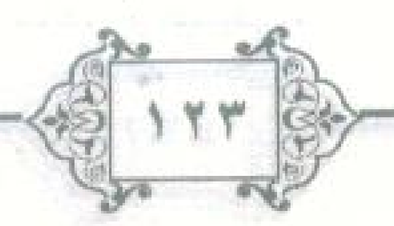
وفى هذا الحديث تصريح بأن شهر المحرم هو أفضل الشهور للصوم.

وفى شأن شهر رجب روى عن عثمان بن حكيم الأنصارى قال : سألت سعيد بن جبير عن صوم رجب ونحن يومئذ فى رجب فقال : سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : كان رسول الله (ﷺ) يصوم حتى نقول لا يفطر، ويفطر حتى نقول لا يصوم"[٣].

قال الإمام النووى رحمه الله تعالى "الظاهر أن مراد سعيد بن جبير بهذا الاستدلال أنه لا نهى عنه، ولا ندب فيه لعينه، بل له حكم

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه مسلم.
(٣) رواه مسلم.



باقى الشهور" ولكن للأشهر الحرم فضيلتها فقد ندب الرسول (ﷺ) إلى صيامها من ذلك ما روى عن مُجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله (ﷺ) ثم انطلق فأتاه بعد سنة وقد تغير حاله وهيئته فقال : يا رسول الله أما تعرفنى ؟ قال : ومن أنت؟ قال : أنا الباهلى الذى جئتك عام الأول، قال : فما غيرك ؟ وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلت طعاما منذ فارقتك إلا بليل، فقال رسول الله (ﷺ) لم عذبت نفسك؟ ثم قال: صم شهر الصبر، ويوما من كل شهر قال زدنى فإن لى قوة قال: صم يومين قال زدنى قال صم ثلاثة أيام قال زدنى قال صم من الحرم واترك؟ صم من الحرم واترك ، صم من الحرم واترك، وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها"(١) والمراد بالحرم : الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب.

وهكذا وجهه الرسول (ﷺ) إذا أراد زيادة على ثلاثة أيام من كل شهر فليصم من الأشهر الحرم ولا يوالى فيها الصيام أكثر من ثلاثة أيام ثم يفطر مثلها.

وهكذا يتضح لنا فضل الصيام فى الأشهر الحرم، واستحبابه على ألا يزيد فى التتابع على ثلاثة أيام ثم يفطر مثلها كما فهم من ضم أصابعه الثلاثة وإرسالها (ﷺ).

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة والبيهقي.

الصيام فى شهر ذى الحجة

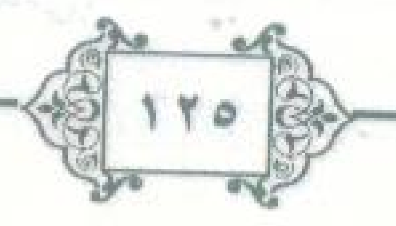
وللصيام فى شهر ذى الحجة فضله ومكانته ، أنه من أنواع الصيام الذى يتطوع به العبد لربه مع ملاحظة تحريم صيام يوم العيد وأيام التشريق الثلاثة.

وللأيام العشرة من شهر ذى الحجة فضلها ، عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى (ﷺ) أنه قال : "ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذه قالوا ولا الجهاد؟ قال : ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشىء"(١).

والمراد بالعشر هى العشر الأول من شهر ذى الحجة ومعلوم أن اليوم العاشر وهو يوم العيد خارج من عبادة الصيام إذ يحرم صومه ، ولكنه داخل فى سائر العبادات الأخرى من صلاة وتكبير وتحميد وتهليل وذكر وإطلاق العشر عليها مع تحريم صوم يوم العيد محمول على الغالب وإن أطلقت الأيام دخلت فيها الليالى كذلك تبعا وقد أقسم الله سبحانه وتعالى بها فى قوله: ﴿وَالْفَجْرِ وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال المفسرون : إن المراد بالعشر فى الآية الكريمة عشر ذى الحجة وقيل المراد بالعشر الأول من المحرم.

---

(١) رواه البخارى.



حكاه أبو جعفر ابن جرير، وروى عن ابن عباس
﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ قال: العشر الأول من رمضان.
والأصح أن المراد بها عشر ذى الحجة، لما رواه جابر أن
النبى (ﷺ) قال إن العشر عشر الأضحى والوتر عرفة والشفع يوم
النحر"(١).

ولحديث جابر فى صحيحى أبى عوانة وابن حبان: "مامن أيام
أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة".

وعن بعض أمهات المؤمنين قالت : إن النبى (ﷺ) كان يصوم
تسع ذى الحجة ويوم عاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر والاثنين من
الشهر والخميس"(٢).

ولما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ولا الجهاد؟ قال
عليه الصلاة والسلام" ولا الجهاد إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله
فلم يرجع بشىء.

أى إلا من خرج مجاهدا فى سبيل الله محتملا للمشقة مخاطرا
بالنفس والمال باذلا لهما فلم يرجع بماله أو لم يرجع بنفسه أو لم
يرجع بهما بأن ذهب ماله واستشهد، وهذا يدل على فضل تلك الأيام
لأنها أيام يغفل الناس عنها فى العبادة.

---

(١) رواه أحمد ورواه النسائى وابن جرير وابن أبى حاتم.
(٢) رواه أبو داود وأحمد والنسائى.

صيام يوم عرفة

يوم عرفة هو اليوم التاسع من شهر ذى الحجة وسمى بيوم عرفة، لأن الوقوف بعرفة يقع فى هذا اليوم للحجاج، وقيل سمى بعرفة، لأن إبراهيم عليه السلام رأى فى المنام ليلة التروية أنه يؤمر بذبح ابنه فأصبح يومه يتروَّى هل هذا من الله؟ فسمّى يوم التروية، وقيل : لأنهم كانوا يحملون الماء فيه ويرتوون ويروون أنعامهم ودوابهم ـ فلما كانت الليلة الثانية رآه أيضًا فأصبح يوم عرفة فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة ، وقد ورد فى هذا اليوم أن صيامه يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده لما روى أبو قتادة عن النبى (ﷺ) أنه قال : "صيام عرفة إنى أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله والسنة التى بعده " رواه مسلم.

وإنما يستحب صيام يوم عرفة لغير الحاج، أما الحجاج فيستحب لهم الفطر يوم عرفة ليتقووا على الذكر والدعاء.

ولكن كانت عائشة وابن الزبير يصومانه، وقال قتادة لا بأس به إذا لم يضعف عن الدعاء.

والأفضل : صيامه لغير الحاج، والإفطار للحاج ليتقوى على العبادة للأحاديث الواردة فى ذلك، ولفعل الرسول (ﷺ) عن أم الفضل بنت الحارث أن ناساً تحاوروا بين يديها يوم عرفة فى صوم رسول



الله (ﷺ) فقال بعضهم : صائم ، وقال بعضهم : ليس بصائم فأرسلت إليه بقدح من لبن، وهو واقف على بعيره بعرفات فشربه النبى (ﷺ). متفق عليه.

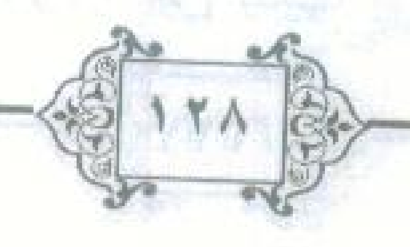
وقال ابن عمر حججت مع النبى (ﷺ) فلم يصمه يعنى يوم عرفة، ومع أبى بكر فلم يصمه ومع عمر فلم يصمه ومع عثمان فلم يصمه، وأنا لا أصومه ولا آمر ولا أنهى عنه. رواه الترمذى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) نهى عن صيام يوم عرفة بعرفة ولأن الصوم يضعف صاحبه عن الدعاء والعبادة فى هذا اليوم المبارك الذى يستجاب فيه الدعاء والإكثار من ذكر الله تعالى لأنه يوم ترجى فيه الإجابة ومن أجل هذا استحب فيه الفطر وعدم الصوم ليتقوى المؤمن على الدعاء.

عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله (ﷺ) قال : ما من يوم أكثر أن يعتق الله فيه عبدًا من النار من يوم عرفة فإنه يدنو عز وجل ثم يباهى بكم الملائكة .

فيقول : ما أراد هؤلاء " رواه مسلم.

وفضل صيام هذا اليوم لغير الحاج ، يظهر بتكفير الله تعالى لذنوب الصائم فيه لسنة ماضية وسنة آتية بتوفيق الله تعالى له إلى التوبة النصوح والبعد عن الذنوب، والتوفيق إلى صالح الأعمال.



الصيام فى المحرم

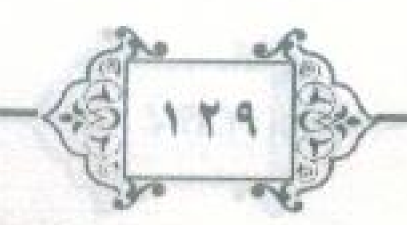
إن صيام شهر الله المحرم من أفضل الأوقات والشهور بعد شهر رمضان، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ﷺ) "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل. [1] وفى هذا الحديث تصريح بأن الصيام فى شهر الله المحرم أفضل من غيره بعد شهر رمضان وبأنه أفضل الشهور للصوم.

وقد جاء فى بعض الأحاديث أن الرسول (ﷺ) كان يكثر من الصوم فى شهر شعبان دون المحرم ولعل السبب فى ذلك أنه إنما علم فضله فى آخر حياته أو لعله كان يعرض فيه أعذار من سفر أو مرض أو غير ذلك من الأسباب الأخرى.

وواضح أن لشهر المحرم مكانته كواحد من الأشهر الحرم، وأيضاً فلاختصاص الرسول (ﷺ) له بهذه الفضيلة للعبادة فيه بالصوم هذا إلى جانب أن فى صيام المحرم اقتداء برسول الله (ﷺ) واتباعه لفعله الذى كان يفعله واستجابة لبيانه حيث بين أن صيام شهر المحرم أفضل الصيام بعد شهر رمضان.

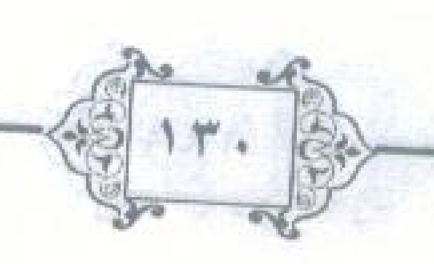
---

(١) رواه مسلم.



والناس يتعارفون على الصوم فى يوم من أيام الشهر وهو يوم عاشوراء، ويغفلون عن بقية أيامه ولا شك أن العبادة والتقرب إلى الله تعالى فى أيام الغفلة لها فضلها.

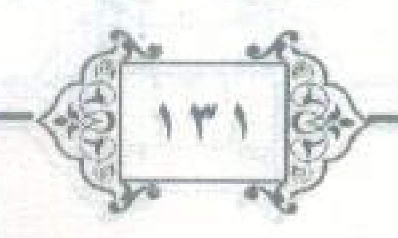
وقد قرن فضله بفضل صلاة الليل حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: "أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل" لأن صلاة الليل لا يعلمها إلا علام الغيوب، وهى بعيدة عن الرياء وحب الظهور بعيدة عن السمعة، يظهر فيها الإخلاص وكذلك الصيام فى شهر المحرم فليس من الأيام المذكورة المشهورة بل كثيرا ما يغفل الناس عن الصيام فيه فكانت العبادة فيها من التذكير والتدبر، ومن الإخلاص الصادق ما فيها ومن هنا كان فضلها وفضل صيام هذا الشهر الذى حرم الله القتال فيه وجعله مباركًا.



صيام عاشوراء

يوم عاشوراء هو اليوم العاشر من شهر المحرم ويرى الجمهور وبعض الشافعية أنه لم يجب صوم قبل رمضان ويرى الأحناف أن أول ما فرض صوم يوم عاشوراء فلما نزل فرض صيام شهر رمضان نسخ فرض صوم عاشوراء، واستدلوا بظاهر حديث ابن عمر رضى الله عنهما: قال : "صام النبى (ﷺ) عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك، وكان عبدالله لا يصومه إلا أن يوافق صومه" رواه البخارى. وعن عائشة رضى الله عنها : أن قريشا كانت تصوم يوم عاشوراء فى الجاهلية، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيامه حتى فرض رمضان وقال رسول الله (ﷺ) " من شاء فليصمه ومن شاء أفطره رواه البخارى ومسلم.

وكان رسول الله (ﷺ) يصوم يوم عاشوراء فى مكة قبل الهجرة ، وبعد أن هاجر إلى المدينة ، وجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فصامه وأمر بصيامه، وهذا إنما كان عن وحى أو تواتر أو اجتهاد لا بمجرد إخبار الآحاد، عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: "قدم النبى (ﷺ) المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا هذا يوم صالح، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من



عدوهم فصامه موسى، قال : فأنا أحق بموسى منكم فصامه وأمر بصيامه" رواه البخارى.

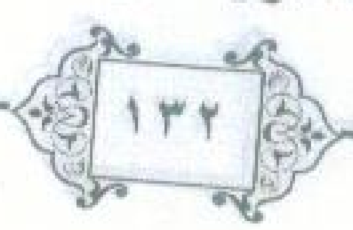
وفى رواية مسلم : هذا يوم أنجى الله فيه موسى وقومه وغرق فرعون وقومه".

ولما فرض صوم شهر رمضان فى شهر شعبان من السنة الثانية للهجرة نسخ وجوب صوم يوم عاشوراء على مذهب أبى حنيفة، وعلى مذهب غيره نسخ تأكيد استحباب صومه.

وقد روى فى فضل صيام يوم عاشوراء قوله (ﷺ) "وصيام يوم عاشوراء أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله " رواه مسلم. أى أن صيام يوم عاشوراء يكفر ذنوب السنة السابقة واتفق العلماء على أن صيام يوم عاشوراء سنّة، أما فى أول الإسلام ، وقبل أن يشرع صيام رمضان ففى ذلك خلاف:

فيرى أبو حنيفة أن صوم يوم عاشوراء كان واجبا.

ويرى بعض أصحاب الشافعى أن صيام يوم عاشوراء سنّة، من يوم أن شرع وليس واجبا ولكنه متأكد الاستحباب، فلما فرض صيام رمضان صار مستحبا دون الأول.



ويرى البعض أنه كان واجبا. قال الإمام النووى رحمه الله تعالى : وتظهر فائدة الخلاف فى اشتراط نية الصوم الواجب من الليل فأبو حنيفة لا يشترطها ويقول كان الناس مفطرين أول يوم عاشوراء ثم أمروا بصيامه بنية من النهار ولم يؤمروا بقضائه بعد صومه وأصحاب الشافعى يقولون : كان مستحبا فصح بنية من النهار ويتمسك أبو حنيفة بقوله : أمر بصيامه ، والأمر للوجوب وبقوله : فلما فرض رمضان قال : من شاء صامه ومن شاء تركه ويحتج الشافعية بقوله : هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه ا.هـ.

ويوم عاشوراء له هذا الفضل وتلك المنزلة، فهو اليوم الذى أظهر الله فيه موسى عليه السلام وبنى إسرائيل على فرعون فصامه موسى شكراً لله تعالى ، وقال رسول الله (ﷺ) : "فنحن أحق بموسى".

وقد وضح رسول الله (ﷺ) أن يوم عاشوراء يكفر السنة الماضية وهذا ما يرجوه الرسول (ﷺ) ويترقبه ويعدّه عند الله ولا حرج على فضل الله فهو ذو رحمة واسعة.



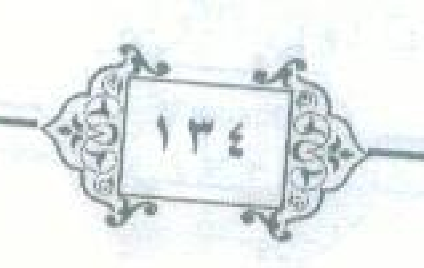
وحتى لا يكون فى صيام يوم عاشوراء اتباع لأهل الكتاب فى تعظيمهم له استحب إضافة صيام بعض الأيام معه كاليوم التاسع والحادى عشر.

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : لما صام رسول الله (ﷺ) يوم عاشوراء وأمر بصيامه، قالوا : يا رسول الله إنه يوم تعظمه اليهود والنصارى؟ فقال: إذا كان العام المقبل - إن شاء الله - صمنا اليوم التاسع، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفى رسول الله (ﷺ) " رواه مسلم وأبو داود.

وفى رواية أخرى يقول الرسول (ﷺ) "لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع" رواه أحمد ومسلم، أى يصوم اليوم التاسع من شهر المحرم مع اليوم العاشر، وبهذا يتضح أن لصيام يوم عاشوراء صورا منها : صيامه مع صيام يوم قبله وهو التاسع ويوم بعده وهو اليوم الحادى عشر.

ومن ذلك أيضًا : صيامه مع صيام يوم قبله وهو اليوم التاسع

ومن ذلك : صيام يوم عاشوراء وحده.



الصيام فى شهر رجب

فى استحباب الصيام فى شهر رجب مشروعية على العموم ، وأخرى على الخصوص:

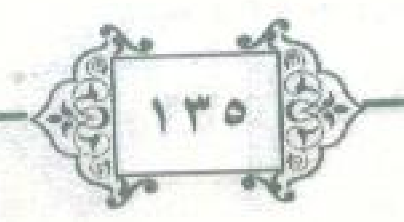
فأما مشروعية شهر رجب على العموم، فلما روى من استحباب الصيام فى الأشهر الحرم، وشهر رجب من هذه الأشهر.

وأما مشروعية صيام شهر رجب على الخصوص : فقد أخرج الطبرانى عن سعيد بن أبى راشد مرفوعا ، بلفظ: "من صام يوما من رجب فكأنما صام سنة، ومن صام منه سبعة أيام غلقت عنه أبواب جهنم ومن صام منه ثمانية أيام فتحت له ثمانية أبواب الجنة، ومن صام منه عشرة أيام لم يسأل الله شيئًا إلا أعطاه ، ومن صام خمسة عشر يوما نادى مناد من السماء قد غفر لك ما مضى فاستأنف العمل ومن زاد زاده الله"(١).

وحكى ابن السبكى عن محمد بن منصور السمعانى، أنه قال: لم يرد فى استحباب صوم رجب على الخصوص سنّة ثابتة والأحاديث التى تروى فيه واهية لا يفرح بها عالم.

---

(١) رواه الطبرانى.



والصيام فى شهر رجب لم يرد فيه نهى عن الصيام، ولا ندب فيه لعينه بل له حكم الشهور الحرم..

حدث عثمان بن حكيم الأنصارىُّ قال : سألت سعيد بن جبير عن صوم رجب – ونحن يومئذ فى رجب – فقال: سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : "كان رسول الله (ﷺ) يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم"(١).

قال الإمام النووى – رحمه الله تعالى – : "الظاهر أن مراد سعيد بن جبير بهذا الاستدال أنه لا نهى عنه، ولا ندب فيه لعينه بل له حكم الشهور.

ولكن للأشهر الحرم فضيلتها ، فقد ندب الرسول (ﷺ) إلى صيامها، وشهر رجب هو أحد هذه الشهور فيكون الصيام فيه على هذا مندوبًا ضمن الأشهر الحرم ، من ذلك ما رواه أبو داود فى سننه قال : حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد عن سعيد الجريرى عن أبى السليل عن مُجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها أنه أتى رسول الله (ﷺ) ثم انطلق ، فأتاه بعد سنة وقد تغيّر حاله وهيئته فقال يا رسول الله أما تعرفنى؟ قال : مَنْ أنت؟ قال أنا الباهلى الذى جئتك عام

(١) رواه مسلم.



الأول قال: فما غيرك وقد كنت حسن الهيئة؟ قال: ما أكلت طعاما منذ فارقتك إلا بليل فقال رسول الله (ﷺ) : لمَ عذبت نفسك؟ ثم قال : صم شهر الصوم ويوما من كل شهر، قال زدنى فإن بى قوة قال: صم يومين قال زدنى ، قال صم ثلاثة أيام قال زدنى قال : صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك صم من الحرم واترك وقال بأصابعه الثلاثة فضمها ثم أرسلها"(١).

وقال الحافظ ابن حجر : لم يرد فى فضله ـ أى شهر رجب ـ ولا فى صيامه، ولا فى صيام شىء منه معين ولا فى قيام ليلة مخصوصة منه حديث صحيح يصلح للحجة". وشهر الصبر المشار إليه فى الحديث السابق هو شهر رمضان والمراد بالحرم: الأشهر الحرم وهى ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: وأما ما ورد فى صوم رجب بخصوصه فأحاديث آحاد وكلها ضعيفة بل موضوعة لا يعتمد أهل العلم على شىء منها، وليست من الضعيف الذى يروى فى الفضائل بل عامتها من الموضوعات المكذوبات وأكثر ما روى فى ذلك أن النبى (ﷺ) كان إذا دخل رجب يقول : "اللهم بارك لنا فى رجب وشعبان وبلغنا رمضان" وقد روى ابن ماجه فى سننه عن ابن عباس رضى الله

---

(١) رواه أبو داود وأحمد وابن ماجة والبيهقى.

عنهما عن النبى (ﷺ) أنه نهى عن صوم رجب وفى إسناده نظر لكن صح أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يضرب أيدى الناس ليضعوا أيديهم فى الطعام فى رجب ويقول : "لا تشبهوه برمضان". وكذلك أيضًا تخصيص شهر رجب وشهر شعبان جميعا بالصوم أو الاعتكاف لم يرد فيه عن النبى (ﷺ) شىء ولا عن أصحابه ولا أئمة المسلمين، وإنما الثابت أن الرسول (ﷺ) كان فى شعبان أكثر صياما منه فى رجب ولكنه لم يثبت صيام رجب كله ولا صيام شعبان كله بأن يجمع الصائم صيام الأشهر الثلاثة كلها وهى رجب وشعبان ورمضان. من كل ما سبق نخلص إلى أن الصيام فى شهر رجب حكمه كحكم الصيام فى باقى الأشهر الحرم، لأنه ورد أن للأشهر الحرم فضيلة ودعوة إلى صيامها وليس لشهر رجب ـ على الانفراد ـ دون سائر الشهور صيام معين وعبادة معينة أو نسك خاص به، فمن شاء أن يصوم فى شهر رجب صام ، شريطة ألا يعتقد أن لشهر رجب على الانفراد عبادة خاصة.



الصيام فى شهر شعبان

سمى هذا الشهر بهذا الاسم، لتشعب الناس فيه طلبا للمياه أو الغارات بعد أن ينتهى شهر رجب الذى هو أحد الأشهر الحرم ، وهذا التعليل الثانى أرجح.

والصيام فى هذا الشهر مندوب، عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله (ﷺ) يصوم حتى نقول لا يفطر ، ويفطر حتى نقول لا يصوم ، فما رأيت رسول الله (ﷺ) استكمل صيام شهر إلا رمضان وما رأيت أكثر صياما منه فى شعبان.

ولقد كان الرسول (ﷺ) يصوم معظم شهر شعبان وفى رواية فى صحيح مسلم.

"كان يصوم شعبان إلا قليلا" وفى حديث يحيى بن أبى كثير فإنه يصوم شعبان كله، وعند أبى داود وغيره أنه كان لا يصوم من السنة شهرًا تاما إلا شعبان يصله برمضان، والمعنى : أنه كان يصوم معظم شهر شعبان، قال ابن المبارك : جائز فى كلام العرب إذا صام أكثر الشهر، أن يقول : صيام الشهر كله، فالمراد بالكل أكثر الشهر، وحمل بعض العلماء معنى صيام شعبان كله على أنه



يصوم شعبان كله تارة، ويصوم معظمه تارة أخرى حتى لا يتوهم أنه واجب كله مثل شهر رمضان.

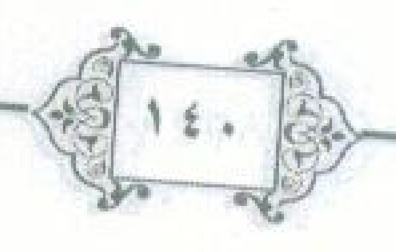
أو أن المراد بصيامه كله أنه كان يصوم من أوله تارة، ومن آخره تارة أخرى ومن أثنائه طورا، فلا يترك شيئاً منه من غير صيام ولا يخص بعضه بصيام دون بعض . وقال بعض العلماء : إما أن يحمل قول السيدة عائشة رضى الله عنها على المبالغة والمراد الأكثر، وإما أن يجمع بأن قولها الثانى متأخر عن قولها الأول فأخبرت عن أول أمره أنه كان يصوم أكثر شعبان، وأخبرت ثانياً عن آخر أمره أنه كان يصومه كله.

والحكمة فى اختصاص شهر شعبان بكثرة الصيام فيه تنحصر فيما يأتى :

أولاً : كان الرسول (ﷺ) يشتغل عن صوم الثلاثة أيام من كل شهر لسفر أو غيره فتجتمع فيقضيها فى شعبان.

ثانيًا : قيل كان يصنع ذلك لتعظيم شهر رمضان.

ثالثًا : وقيل : لأن نساءه كن يقضين ما عليهن من شهر رمضان فى شهر شعبان.



رابعًا : أنه يعقبه شهر رمضان وصومه فرض فكان يكثر من الصوم فى شعبان قدر ما يصوم فى شهرين غيره، لما يفوته من التطوع بذلك فى أيام شهر رمضان.

خامسًا : وأولى الحكم وأقواها فى السبب فى كثرة الصيام فى شهر شعبان ما جاء فى الحديث الآخر : عن أسامة بن زيد رضى الله عنه قال : قلت : يا رسول الله لم أرك تصوم من شهر من الشهور ما تصوم من شعبان؟ قال : "ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان، وهو شهر ترفع فيه الأعمال إلى رب العالمين فأحب أن يرفع عملى وأنا صائم"(١) ونحوه من حديث عائشة عن أبى يعلى قال فيه : "إن الله يكتب على كل نفس ميتة تلك السنة فأحب أن يأتينى أجلى وأنا صائم".

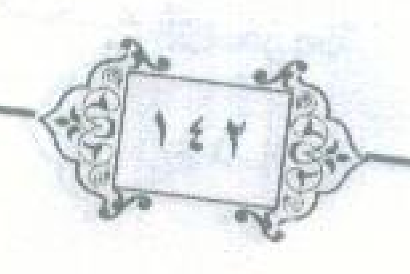
وروى الإمام مسلم ــ بسنده ــ عن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله (ﷺ) قال له أو لآخر : أصمت من سرر الشهر؟ قال: لا، قال : فإذا أفطرت فصم يومين، والمراد بالسرر : آخر الشهر سميت بذلك، لاستسرار القمر فيها ، وقيل : بل المراد السرر وسط الشهر، فإنها الأيام البيض ، قالوا : وسرار كل شيء

---

(١) رواه النسائى وأبو داود وصححه ابن خزيمة.

وسطه وأفضله ، وعلى أن المراد بالسرر آخر شعبان ، فلا يكون ذلك مخالفا للأحاديث الصحيحة فى النهى عن تقدم رمضان بصوم يوم أو يومين إذ يجاب عن ذلك بأن هذا الرجل كان معتادا الصيام آخر الشهر أو نذره، فتركه لخوفه من الدخول فى النهى عن تقدم رمضان فبين له النبى (ﷺ) أن الصوم المعتاد لا يدخل فى النهى وإنما النهى عن الصوم فى آخر شعبان إذا كان غير معتاد له.

وفى قوله (ﷺ) : "ذلك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان أنه يستحب صوم رجب، لأن الظاهر أنهم يغفلون عن تعظيم شعبان بالصوم كما يعظمون رمضان ورجب، ويحتمل أن المراد غفلتهم عن تعظيم شعبان بصومه كما يعظمون رجب بنحر النحائر فيه فإنه كان يعظم بذلك فى الجاهلية، وينحرون فيه، والظاهر الاحتمال.



حكم صيام يوم الجمعة منفردًا

يوم الجمعة هو خير أيام الأسبوع ، وهو خير يوم طلعت فيه الشمس، عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام، وفيه أدخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا فى يوم الجمعة"(١).

ويوم الجمعة هو العيد الأسبوعى للمسلمين ، ولهذا ورد النهى عن صيامه، فيكره أن يفرد هذا اليوم بالصوم، إلا إذا وافق يوم الجمعة صيام يوم اعتاد صيامه كأن كان المسلم مثلاً يصوم يوما ويفطر يوماً، فوافق يوم الصيام يوم الجمعة، أو كان قد اعتاد أن يصوم أول يوم من الشهر أو آخر يوم أو يوم نصف الشهر ونحو ذلك، كما نص على ذلك الإمام أحمد.

وقال أبو حنيفة ومالك : لا يكره إفراد الجمعة ، لأنه يوم فأشبه سائر الأيام، ولكن رأى الجمهور أن صيام يوم الجمعة منهى عنه وأنه نهى كراهية، وليس للتحريم ومن الأدلة على كراهية صيام يوم الجمعة :

---

(١) رواه الترمذى وأبو داود والنسائى.

عن عامر الأشعرى قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : "إن يوم الجمعة عيدكم فلا تصوموه إلا أن تصوموا قبله أو بعده"(١).

وكما لا يكره صيام يوم الجمعة على الانفراد إذا صادف صيام يوم كان يتعوده كأول الشهر أو وسطه كذلك لا يكره إذا صادف يوما من الأيام التى يستحب صومها مثل يوم عرفة أو يوم عاشوراء، كذلك لا يكره صيام يوم الجمعة إذا صام يوما قبله أو يوما بعده، لما ورد فى الصحيحين من حديث جابر رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) قال : لا تصوموا يوم الجمعة إلا وقبله يوم أو بعده يوم.

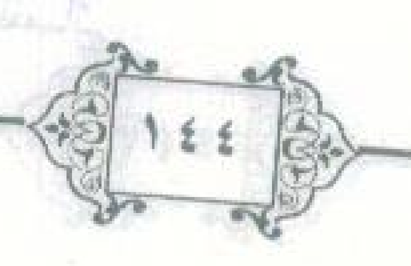
وفيما رواه مسلم: ".. ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام إلا أن يكون فى صوم يصومه أحدكم".

وقال محمد بن عباد سألت جابرا : أنهى رسول الله (ﷺ) عن صوم يوم الجمعة ؟ قال : نعم" متفق عليه.

وعن جويرية بنت الحارث أن النبى (ﷺ) دخل عليها يوم الجمعة وهى صائمة فقال: أصمت أمس؟ قالت : لا قال: أتريدين أن تصومى غدا؟ قالت : لا قال : فأفطرى"(١).

---

(١) رواه البزار.



وفى هذا دلالة على أن النهى عن صيام يوم الجمعة إنما يكون فى حالة أفراده بالصوم، ففى الحديث السابق كان النهى عن صيام يوم الجمعة معللاً بكونها لم تصم أمس ولا غدا.

حكم صيام يوم السبت منفردًا

يكره أن يخص أحد يوم السبت بصيام، وذلك لأن اليهود يعظمون يوم السبت.

ويرى كراهية السبت منفردًا الأحناف والشافعية والحنابلة، وأما الإمام مالك فقد جوز صيام يوم السبت منفردًا بلا كراهة.

ومما يدل على كراهة صيام يوم السبت ما روى عن عبدالله بن بسر أن النبى (ﷺ) قال : "لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم.." [٢].

وعن عبدالله بن بسر عن أخته الصماء أن رسول الله (ﷺ) قال: "لا تصوموا يوم السبت إلا فيما افترض عليكم فإن لم يجد أحدكم إلا لحاء[١] عنب أو عود شجرة فليمضغه"[٢].

---

(١) رواه البخارى.
(٢) رواه أحمد والترمذى وقال : حديث حسن.

الصيام فى الإسلام

والمكروه فى صيام يوم السبت هو إفراده بالصيام، فإن صام معه غيره لم يكن صيامه مكروها لحديث أبى هريرة رضى الله عنه، وجويرية رضى الله عنها.

وكذلك إن صام يوم السبت فوافق صوما له اعتاده بأن كان قد تعود مثلا صيام يوم وإفطار يوم فوافق يوم صومه يوم السبت، وكذا لو صادف مجىء يوم عرفة أو يوم عاشوراء يوم السبت.

كما يكره إفراد يوم النيروز ويوم المهرجان بالصوم لأنهما يومان يعظمهما الكفار، فيكون تخصيصهما بالصيام دون غيرهما موافقة لهم فى تعظيمهما فكره صيامهما كيوم السبت، ويقاس على هذا كل عيد للكفار أو يوم يفردونه بالتعظيم، وإنما يظهر هذا فيما إذا كانوا يصومونه، وأما إذا عظموه بغير الصيام، فلا يكون من صامه متشبها بهم.

فالتشبّه بالكفار فى عباداتهم أو تعظيمهم لبعض من الأيام غير جائز شرعا.

وبهذا يتضح أن يوم السبت جاءت كراهته لأنه يوم يعظمه اليهود، فلا يصح أن يفرده المسلمون بالصيام حتى لا يكون فيه تشبه بهم.

---

(١) قشره.

(٢) رواه أبو داود وأخت عبدالله بن بسرهى هجيمه أو جهتميه.

صيام يومى الاثنين والخميس

من أنواع الصيام المستحب: صيام يوم الاثنين ويوم الخميس لما روى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) كان أكثر ما يصوم الاثنين والخميس، فقيل له؟ فقال : "إن الأعمال تعُرض كل اثنين وخميس فيغفر الله لكل مسلم أو لكل مؤمن إلا المتهاجرين فيقول: (أخِّرْهُما) رواه أحمد.

أى أن الله تعالى يغفر لعباده إلا المتهاجرين، أى من كان بينهما هجر بالخصومة أو العداوة والبغضاء ، وورد فى رواية الإمام مسلم:

"إلا رجلا كان بينه وبين أخيه شحناء فيقال : أنظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصْطلِحا" وكرر الجملة ثلاث مرات للتأكيد.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى (ﷺ) كان يصوم يوم الاثنين والخميس، فسألته، فقال: "إن الأعمال تعرض يوم الاثنين والخميس" رواه الدارمى.

وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) قال : "تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس فمن مستغفر فيغفر له ومن تائب فيتاب



عليه ويردّ أهل الضغائن بضغائنهم حتى يتوبوا "أخرجه المنذرى، ورواه أبو داود كما ذكر المنذرى أن رواته ثقات. فهذه الأحاديث توضح فضل يومى الاثنين والخميس وان صيامهما مستحب، فإن الأعمال تعرض فيهما على الله تعالى.

وكان صيامهما مستحبا لفضلهما ، ولأن الأعمال تعرض فيهما فتعرض فى وقت الصيام الذى هو من أفضل العبادات ، فتكون المغفرة وفيما رواه الإمام مسلم فى صحيحه من حديث أبى قتادة : "وسئل عن صوم يوم الاثنين قال : ذاك يوم ولدت فيه ويوم بعثت أو أنزل علىّ فيه..".

وفى هذا الحديث من رواية شعبة قال: وسئل عن صوم يوم الاثنين والخميس فسكتنا عن ذكر الخميس لما نراه وهما.

وفى رواية أخرى عند مسلم عن أبى قتادة الأنصارى رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) سئل عن صوم الاثنين فقال : فيه ولدت، وفيه أنزل علىّ".

وإنما جاء فى رواية شعبة "فسكتنا عن ذكر الخميس" قال القاضى عياض إنما تركه وسكت عنه قوله "فيه ولدت وفيه بعثت أو أنزل علىّ" وهذا إنما هو فى يوم الاثنين كما جاء فى الروايات الأخرى "يوم الاثنين" دون ذكر الخميس فلما كان فى رواية شعبة



ذكر الخميس تركه مسلم لأنه رآه وهما، قال القاضى : ويحتمل صحة رواية شعبة ويرجع الوصف بالولادة والإنزال ــ أى للوحى ــ إلى الاثنين دون الخميس.

وفى هذا دلالة لفضل بعض الأيام على بعض واختصاص بعضها كيوم مولده بالصوم شكرا لله تعالى من رسول (ﷺ) كما يستحب لأحقه شكر الله تعالى على نعمة مولد الرسول (ﷺ) وعلى نعمة بعثته التى هى رحمة للعالمين.

حكم صوم الدهر

يرى أهل الظاهر منع صيام الدهر لظاهر الأحاديث، التى تنهى عن ذلك وذهب جمهور العلماء إلى جوازه إذا لم يصم الأيام المنهى عن صيامها وهى العيدان وأيام التشريق. ويرى الإمام الشافعى وأصحابه أن سرد الصيام إذا أفطر العيدين وأيام التشريق ألاَّ كراهة فيه بل هو مستحب، واشترط لهذا الصوم بعض الشروط : إلا يلحقه ضرر بسبب صيام الدهر وإلا يفوت حقا من الحقوق، فإذا تضرر بسبب هذا النوع من الصيام أو فوّت حقا فمكروه واستدلوا بحديث حمزة بن عمرو أنه قال يا رسول الله أنى أسرد الصوم أفأصوم فى السفر؟ فقال : "إن شئت فصم" رواه البخارى ومسلم



ولفظ رواية مسلم: فأقره (ﷺ) على سرد الصيام ولو كان مكروها لم يقره لا سيما فى السفر ، وثبت عن ابن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما أنه كان يسرد الصيام وأبو طلحة وعائشة وخلائق من السلف.

وأما حديث : "لا صام من صام الأبد" فهو محمول على حقيقته بأن يصوم معه العيدين وأيام التشريق، أو أنه محمول على من تضرر به أو فوّت به حقًا، ويؤيده أن النهى كان خطابا لعبد الله بن عمرو بن العاص وقد ذكر الإمام مسلم أنه عجز فى آخر عمره وندم على كونه لم يقبل الرخصة قالوا : فَنْهىُ ابن عمرو كان لعلمه بأنه سيعجز ، وأمر حمزة بن عمرو لعلمه بقدرته بلا ضَرَر. إذ إن معنى: لا صام من صام الأبد" أنه لا يجد من مشقته ما يجده غيره فيكون خبرا لا دعاء.

وهكذا إذا لحق الصائم ضرر فيكره له الصيام، وقد قال (ﷺ) لعبدالله بن عمرو بن العاص.

ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة فقلتُ بلى يا نبى الله ولم أرد بذلك إلا الخير قال : "فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام.." رواه مسلم وكان عليه الصلاة والسلام يقول :

"خذوا من الأعمال ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملّوا وكان يقول أحب العمل إلى الله ما دام عليه صاحبه" رواه مسلم.

فهو يرشد أمته ويحثهم على ما يطيقون وينهاهم عن التعمق والإكثار من العبادات التى يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها، وقد ذم الله تعالى قوما أكثروا العبادة ثم فرطوا فيها ، فقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾.

التطوع للمسافر والمجاهد

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "كان رسول الله (ﷺ) لا يفطر أيام البيض فى حضر ولا سفر" رواه النسائى.

وعن أبى سعيد قال : قال رسول الله (ﷺ) : "من صام يوما فى سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا" رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

يدل الحديث الأول على استحباب صيام الأيام البيض فى السفر ويلحق بها صيام سائر أنواع التطوع والنوافل التى يرغب الإسلام فى صيامها.

ويدل الحديث الثانى على استحباب صيام المجاهد ، لأنه يفهم من قوله "فى سبيل الله " أى الجهاد فى سبيل الله.



فهو يرشد أمته ويحثهم على ما يطيقون وينهاهم عن التعمق والإكثار من العبادات التى يخاف عليهم الملل بسببها أو تركها أو ترك بعضها، وقد ذم الله تعالى قوما أكثروا العبادة ثم فرطوا فيها ، فقال تعالى: ﴿**وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**﴾.

التطوع للمسافر والمجاهد

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : "كان رسول الله (ﷺ) لا يفطر أيام البيض فى حضر ولا سفر" رواه النسائى.

وعن أبى سعيد قال : قال رسول الله (ﷺ) : "من صام يوما فى سبيل الله بعّد الله وجهه عن النار سبعين خريفا" رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى.

يدل الحديث الأول على استحباب صيام الأيام البيض فى السفر ويلحق بها صيام سائر أنواع التطوع والنوافل التى يرغب الإسلام فى صيامها.

ويدل الحديث الثانى على استحباب صيام المجاهد ، لأنه يفهم من قوله "فى سبيل الله " أى الجهاد فى سبيل الله.



وقال الإمام النووى رحمه الله تعالى : وهو محمول على من لا يتضرر به، ولا يفوت به حقا، ولا يختل قتاله ولا غيره من مهمات غزوه ومعناه: المباعدة عن النار والمعافاة منها سبعين سنة.

وإذا كان الصوم إنما شرع للمستطيع والقادر، وأنه يرخص للمسافر والمريض بالإفطار ذلك فى صيام الفريضة فى شهر رمضان، فمما لا شك فيه أن صوم التطوع من باب أولى فحيث لحق الإنسان ضرر أو مشقة فلا يصح أن يصوم التطوع ، لأن الله تعالى يريد بعباده اليسر ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ وهو سبحانه وتعالى القائل: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾.

أما استحباب صيام المسافر والمجاهد الوارد فيما سبق من الحديثين.

فهذا الصيام إنما هو لمن يتضرر بالصوم فى سفره أو جهاده حيث كان قادرا على الصوم مستطيعا لأداء الواجب عليه، فلا يفوت حقا من الحقوق بسبب الصيام.

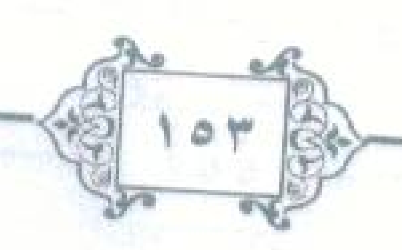
أما إذا ترتب على صيامه تفويت حق أو لحقه ضرر فليس له أن يصوم بل الخير والأفضل ألا يصوم.



فمن شرع فى صومه ثم لحقه ضرر أو مشقة فعليه أن يفطر، ومن لم يفطر وحمل نفسه ما لا طاقة لها به فقد خالف ما عليه الرسول (ﷺ) . عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله (ﷺ) "خرج إلى مكة عام الفتح ، فصام حتي بلغ كراع العميم وصام الناس معه فقيل له: إن الناس قد شق عليهم الصيام وإن الناس ينظرون فيما فعلت، فدعا بقدح من ماء بعد العصر فشرب والناس ينظرون إليه، فأفطر بعضهم وصام بعضهم، فبلغه أن ناسا صاموا، فقال: أولئك العصاة "رواه مسلم والترمذى والنسائى.

وفى هذا دليل على أن المسافر يجوز له أن يفطر بعد أن نوى الصيام من الليل وهو قول الجمهور.

وفى قوله : "أولئك العصاة" استدل به من قال بأن الفطر فى السفر متحتم، ومن قال بأنه أفضل والقادر على الصيام فى السفر وفى الجهاد دون مشقة ودون تفويت حق ثوابه مضاعف، وجزاؤه كبير لأنه قد أخلص فى عبادته وأحبها حتى أنه لا يريد تركها حتى فى الأوقات المرخص له فيها الفطر.



حكم الخروج من صيام التطوع

الأفضل لمن نوى الصوم أو غيره من العبادات أن يمضى عبادته إذا كانت تطوعًا، ولا مانع يمنع من استمرارها ، ومع هذا فإن عبادة الصوم النفل إذا خرج منها صاحبها فإنه لا يجب عليه القضاء.

روى عن ابن عمر وابن عباس أنهما أصبحا صائمين ثم أفطرا وقال ابن عمر لا بأس به ما لم يكن نذرا أو قضاء رمضان.

وقال ابن عباس : إذا صام الرجل تطوعا ثم شاء أن يقطعه قطعة وإذا دخل فى صلاة تطوعا ثم شاء أن يقطعها قطعها.

وقال ابن مسعود : متى أصبحت تريد الصوم فأنت على آخر النظرين إن شئت صمت وإن شئت أفطرت ، فهذا مذهب أحمد والنووى والشافعى وإسحاق.

وروى عن أحمد : إذا أجمع على الصيام فأوجبه على نفسه فأفطر من غير عذر أعاد يوما مكان ذلك اليوم، وهذا محمول على أنه استحب ذلك أو نذره ليكون موافقا لسائر الروايات عنه.

وقال النخعى وأبو حنيفة ومالك يلزم فى الشروع فيه ولا يخرج منه إلا بعذر فإن خرج قضى ، وعن مالك لا قضاء عليه،

واحتج من أوجب القضاء بما روى عن عائشة أنها قالت: أصبحت أنا وحفصة صائمتين. متطوعتين فأهدى لنا حيس فأفطرنا ثم سألنا رسول الله (ﷺ) فقال : اقضيا يوما مكانه لأنها عبادة تلزم بالعذر فلزمت بالشروع فيها كالحج والعمرة.

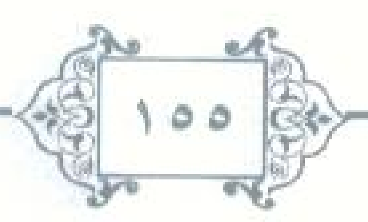
وأما القائلون بعدم وجوب القضاء على من أفطر وقطع صيام النفل واستدلوا بما روى عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل علىّ رسول الله (ﷺ) يوما ، فقال: هل عندكم شيء ؟ فقلت : لا قال: فإنى صائم ثم مر بعد ذلك اليوم وقد أهدى إلىّ حيس فخبأت له منه وكان يحب الحيس قلت: يا رسول الله إنه أهدى لنا حيس فخبأت لك منه، قال : "ادنيه" أما إنى قد أصبحت وأنا صائم، فأكل منه، ثم قال لنا : إنما مثل صوم التطوع مثل الرجل يخرج من ماله الصدقة فإن شاء أمضاها وإن شاء حبسها"[١].

وروت أم هانئ قالت : دخلت على رسول الله (ﷺ) فأتى بشراب فناولنيه فشربت منه، ثم قلت يا رسول الله لقد أفطرت وكنت صائمة: ؟ فقال لها : اكنت تقضين شيئا؟ قالت : لا قال : فلا يضرك إن كان تطوعا"[٢].

---

(١) رواه النسائى بهذا اللفظ ، ورواه مسلم وأبو داود.

(٢) رواه أبو داود.



وفى رواية: قالت: قلت: إنى صائمة، فقال رسول الله (ﷺ): "إن المتطوع أمير نفسه فإن شئت فصومى وان شئت فأفطرى".

ولأن كل صوم لو أتمه كان تطوعا إذا خرج منه لم يجب قضاؤه، كما لو اعتقد أنه من رمضان فبان من شعبان أو من شوال فأما ما دل على وجب القضاء فضعّفه البعض، وهو محمول على الاستحباب إذا ثبت هذا فإنه يستحب له الإتمام وإن خرج منه استحب قضاؤه خروجا من الخلاف وعملا بالخبر المروى فى ذلك، وأما باقى النوافل غير الصوم فحكمها حكم الصوم، فلا تلزم بالشروع فيها ولا يجب قضاؤها إذا أخرج منها إلا الحج والعمرة. لتأكد إحرامهما وروى عن أحمد فى الصلاة ما يدل على أنها تلزم بالشروع فقد سئل عن الرجل يصبح صائما متطوعا أيكون بالخيار والرجل يدخل فى الصلاة له أن يقطعها ؟ فقال : الصلاة أشد أما الصلاة فلا يقطعها قيل له: فإن قطعها قضاها ؟ قال : إن قضاها فليس فيه خلاف ومال أبو إسحاق الجوزجانى إلى هذا وقال : الصلاة ذات إحرام وإحلال فلزمت بالشروع فيها كالحج. قال ابن قدامة. وأكثر أصحابنا على أنها لا تلزم أيضًا وهو قول ابن عباس لأن ما جاز تركه جميعه جاز ترك بعضه كالصدقة، والحج والعمرة يخالف غيرهما.

العيدان وأيام التشريق

حكم صوم العيدين

أجمع العلماء على تحريم صيام يوم عيد الفطر، وتحريم صيام يوم عيد الأضحى، سواء صامهما صوم نذر أو صامهما صوم تطوع أو صوم كفارة أو غير ذلك من أنواع الصيام، فيحرم صوم يومى العيدين سواء كان صيام فرض أو صيام تطوع ، حتى ولو نذر صومهما لعينهما، قال الشافعى والجمهور : لا ينعقد نذره ولا يلزمه قضاؤهما.

وقال أبو حنيفة : ينعقد النذر ويلزمه قضاؤهما قال "فإن صامهما أجزأ وخالف الناس كلهم فى ذلك أهم وبمثل قول الإمام أبى حنيفة قال المؤيد بالله والإمام يحيى.

وقال البعض: يصح النذر بصيامهما ويصوم فى غيرهما ولا يصح صومه فيهما، وهذا إذا نذر صومهما بعينهما كما تقدم وأما إذا نذر صوم يوم الاثنين مثلا فوافق يوم العيد، فقال النووى: لا يجوز له صوم العيد بالإجماع قال: وهل يلزمه القضاء فيه خلاف للعلماء وفيه للشافعى قولان أصحهما.. لا يجب قضاؤه ، لأن لفظه لم يتناول القضاء ، وإنما يجب قضاء الفرائض بأمر جديد على المختار.



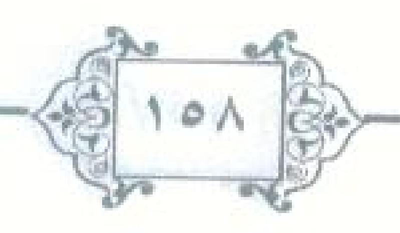
وأما الحكمة فى النهى عن صوم العيدين أن صيامهما إعراضا عن ضيافة الله تعالى لعباده كما صرح بذلك أهل الأصول.

فإن المؤمنين فى أيام الأعياد فى ضيافة رب العباد سبحانه وتعالى:

عن أبى سعيد رضى الله عنه عن رسول الله (ﷺ) "انه نهى عن صوم يومين : يوم الفطر ويوم النحر" متفق عليه.

وفى لفظ لأحمد والبخارى : لا صوم فى يومين. ولمسلم : لا يصح الصيام فى يومين، هذا إلى جانب ما فى العيدين من إظهار للبهجة والسرور والشكر على نعمة الله على عباده بتوفيقهم إلى عبادته ، ففى يوم الفطر يكون المسلمون خارجين من عبادة الصيام شهرا كاملا هو شهر رمضان وفى عيد الأضحى يكون حجاج بيت الله الحرام فى مناسكهم بعد يوم عرفة حيث يرمون جمرة العقبة فى يوم عيد الأضحى، وينحرون ويحلقون ويكبرون ربهم سبحانه وتعالى.

وغير الحجاج فى أوطانهم يستحب لهم صيام يوم عرفة ويفطرون يوم العيد، حيث ينحرون الأضحية ويكبرون الله على ما هداهم وينعمون بضيافة ربهم سبحانه فى هذا اليوم المبارك العظيم.



وعن الأوزاعى وغيره أيضًا يصومها المحصر والقارن انتهى. واستدل القائلون بالمنع مطلقاً بالأحاديث التى لم تقيد الجواز للمتمتع.

واستدل القائلون بالجواز للمتمتع بحديث عائشة وابن عمر المذكور وأخرج الدار قطنى والطحاوى بلفظ : " رخص رسول الله (ﷺ) للمتمتع إذا لم يجد الهدى أن يصوم أيام التشريق وسميت تلك الأيام بأيام التشريق، لأن لحوم الأضاحى تشّرقُ فيها أى تنشر فى الشمس، وقيل : لأن الهدى لا ينحر حتى تشرق الشمس، وقيل لأن صلاة العيد تقع عند شروق الشمس.

وقيل التشريق التكبير ودبر كل صلاة انتهى.

وقد قال الله تعالى ــ مشيرا إلى تلك الأيام الثلاثة ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.



زكاة الفطر

عن ابن عمر رضى الله عنهما "أن رسول الله (ﷺ) فرض زكاة الفطر من رمضان على الناس صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل حر أو عبد ذكر أو أنثى من المسلمين"(١).

ومعنى "فرَضَ.." : ألزم وأوجب كما قال الجمهور، وقال بعض العلماء: فرض بمعنى قدر على سبيل الندب.

وتسمى هذه الزكاة بزكاة الفطر أو صدقة الفطر لكونها تجب بالفطر من رمضان، وقال ابن قتيبة : المراد بصدقة الفطر صدقة النفوس، مأخوذة من الفطرة التى هى أصل الخلقة، والرأى الأول أظهر.

و"الصاع" هو قدحان، وعند الأحناف بالكيل المصرى قدحان وثلث وعند الشافعية قدحان وعند المالكية قدح وثلث.

وجاء الأمر بزكاة الفطر فى عموم قول الله تعالى : ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ثم بينَ رسول الله (ﷺ) الأحكام المتعلقة بها تفصيلا. وقال الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾.

---

(١) رواه مسلم.



وقد قيل : إنها نزلت فى زكاة الفطر وصلاة العيد.

وشرعت زكاة الفطر تطهيرا لنفس الصائم من اللغو، وهو ما لا ينعقد عليه القلب من القول، ومن الرفث وهو الفحش من الكلام، ذلك أن العبادات التى تطول قد يشق على المسلم أن يتحرز من أمور تفوت عليه كمال العبادة، فلذا شرع الله تعالى من فضله ورحمته كفارة مالية تجبر النقص كالهدى فى الحج والعمرة وكزكاة الفطر بالنسبة للصائم، لما قد يقع للصائم أثناء صومه من لغو أو نحوه.

ولذا روى عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : "فرض رسول الله (ﷺ) زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات"(١).

وبعد بيان حكمة مشروعيتها ، يجدر بنا أن نقف على الأمور الآتية:

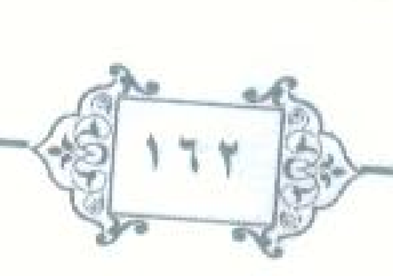
أولاً : حكم زكاة الفطر.

ثانيًا : على من تجب زكاة الفطر؟

ثالثًا : الأنواع التى يصح إخراج زكاة الفطر منها.

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجة.



رابعاً : القدر الواجب إخراجه منها.

خامسًا : وقت إخراجها .

أولاً : حكم زكاة الفطر :

يرى جمهور السلف والخلف أن زكاة الفطر واجبة، وأن معنى قوله : فرض: ألزم وأوجب ، فهى واجبة عندهم لدخولها فى عموم قوله تعالى ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ كما سبق، ولأن غالب استعمال هذا اللفظ فى الشرع يكون بمعنى الوجوب، وقد ترجم البخارى لزكاة الفطر بقوله : "باب صدقة الفطر، ورأى أبو العالية وعطاء وابن سيرين صدقة الفطر فريضة" واقتصر البخارى على ذكر هؤلاء لتصريحهم، بفرضيتها وقد نقل ابن المنذر وغيره الإجماع على ذلك.

وقال الحنفية بالوجوب دون الفرض بناء على الفرق ـ عندهم ـ بين الواجب والفرض وأن الفرض عندهم ما ثبت بدليل قطعى.

وذهب بعض أهل العراق وبعض أصحاب مالك وبعض أصحاب الشافعى وداود إلى أنها سنة مؤكدة ، قالوا : ومعنى "فرض" قدر على سبيل الندب. وقال إبراهيم بن علية وأبو بكر بن كيسان الأصم: أن وجوبها نسخ لما رواه النسائى وغيره عن قيس بن سعد بن عبادة قال : أمر رسول الله (ﷺ) بصدقة الفطر قبل أن تنزل الزكاة، فلما نزلت الزكاة لم يأمرنا ولم ينهنا ونحن نفعله، قال فى

الفتح : وتعقب بأن فى إسناده راويا مجهولا، وعلى تقدير الصحة فلا
دليل فيه على النسخ لاحتمال الاكتفاء بالأمر الأول لأن نزول فرض
لا يوجب سقوط فرض آخر . أ.هـ.

ثانياً : على من تجب زكاة الفطر؟

بين الحديث الذى معنا أن زكاة الفطر تجب على كل حر أو
عبد ذكر أو أنثى من المسلمين، وهذا يدل على أنها تجب على أهل
القرى والأمصار والبوادى والشعاب وكل مسلم حيث كان، وبهذا قال
الأئمة : مالك وأبو حنيفة والشافعى وأحمد وجماهير العلماء.

وذهب عطاء والزهرى وربيعة والليث إلى أنها لا تجب إلا
على أهل الأمصار والقرى دون البوادى.

وفى قوله (ﷺ) : "على كل حر أو عبد" ما يفيد أن زكاة الفطر
تجب على العبد، وقد أخذ داود بظاهر الحديث فقال بوجوبها على
العبد بنفسه، وأوجب على السيد تمكينه منها ومن كسبها كما يمكنه
من صلاة الفرض.

ومذهب الجمهور : أنها واجبة على السيد عن عبده، قال
النووى: وعند أصحابنا فى تقديرها وجهان، أحدهما : أنها تجب على
السيد ابتداء . والثانى : تحب على العبد ثم يحملها عنه سيده، فمن
قال بالثانى: فلفظة "على" على ظاهرها، ومن قال بالأول قال إن

"على" بمعنى عن، والذى نميل إليه هو أنها تجب على السيد عن عبده لا على العبد نفسه، وذلك لما ورد عن أبى سعيد الخدرى قال: "كنا نخرج زكاة الفطر ورسول الله (ﷺ) فينا عن كل صغير وكبير حر ومملوك من ثلاثة أصناف صاعا من أقط ـ وهو اللبن المتجمد مثل الجبن غير منزوع الزبد ـ أو صاعا من شعير.."(١).

ولكن هل تجب زكاة الفطر على الصبى؟

ذهب البعض إلى أنها لا تجب على الصبى، لأنها تطهير والصبى ليس فى حاجة إلى التطهير لعدم الإثم . وعن سعيد بن المسيب والحسن البصرى: لا تجب إلا على من صام.

وذهب الجمهور إلى وجوب إخراجها عن الصبى، وهذا الرأى ما نرجحه ، وذلك لما ورد عن ابن عمر قال : "فرض رسول الله (ﷺ) زكاة الفطر صاعا من تمر أو صاعا من شعير على كل عبد أو حر صغير أو كبير"(٢).

وأما التعليل بأنها للتطهير والصبى ليس فى حاجة إليه، فنقول: إن هذا التعليل إنما هو لغالب الناس كما تجب على من لم

(١) رواه مسلم.

(٢) رواه مسلم.



يذنب كمتحقق الصلاح أو من أسلم قبل غروب الشمس بلحظة، قال النووى/ وكما أن القصر فى السفر جوز للمشقة، فلو وجد من لا مشقة عليه فله القصر.

وهل تجب على الفقير كما تجب على الغنى؟

ذهب الحنفية إلى أنها لا تجب إلا على من ملك نصابا، ومقتضاه أنها لا تجب على الفقير، وذلك لحديث: "لا صدقة إلا عن ظهر غنى" وذهب آخرون : إلى أنها تجب على الفقير كما تجب على الغنى لحديث ابن عباس "فرض رسول الله (ﷺ) زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث وطعمة للمساكين".

أما الشافعى ومن تبعه فاشترط لوجوبها أن يكون ذلك فاضلا عن قوت يومه وليلته ومن تلزمه نفقته، وقال بعض العلماء: لم يدل دليل على اعتبار النصاب فيها لأنها زكاة بدنية لا مالية.

وفى قوله : "ذكر أو أنثى" ما يدل ظاهره على وجوبها على المرأة سواء كان لها زوج أم لا ، وقد قال بهذا أبو حنيفة والنووى وابن المنذر.

وذهب مالك والشافعى والليث وأحمد وإسحاق : إلى أنها تجب على زوجها إلحاقا بالنفقة.



وفى قوله : "من المسلمين " يخرج غير المسلم فلا يلزم إخراج زكاة الفطر عن عبده وزوجته وولده الكفار، وإن كان يجب عليه نفقتهم، وهذا ما ذهب إليه الإمام مالك والإمام الشافعى وجماهير العلماء.

وقل بعض السلف : تجب عن العبد الكافر. هذا ومن المتفق عليه أنها لا تجب على الكافر عن نفسه، ولكن هل يخرجها عن غيره؟ نقل بعض العلماء الإجماع على عدم الوجوب لكن فيه وجه للشافعية ورواية عن أحمد.

وهل يخرجها المسلم عن عبده الكافر؟ قال الجمهور: لا يخرجها ، وقال بإخراجها عطاء والثورى والحنفية، لعموم قوله: "ليس على المسلم فى عبده صدقة إلا صدقة الفطر" ولكن أجيب عن هذا بأن العموم فى هذا الحديث مخصوص بقوله : "من المسلمين".

ولكن يبقى معنا ما نقله ابن المنذر أن بعضهم احتج بما أخرجه من حديث ابن إسحاق : حدثنى نافع أن ابن عمر كان يخرج عن أهل بيته حرهم وعبدهم، صغيرهم وكبيرهم، مسلمهم وكافرهم من الرقيق، قال : وابن عمر راوى الحديث، وقد كان يخرج عن عبده الكافر وهو أعرف بمراد الحديث، ويمكن الجمع بين هذه الآراء بأنه لو صح خبر ابن عمر فإنه يحمل على أنه كان يخرج عنهم



تطوعًا، ولا مانع منه، ووقت وجوب زكاة الفطر غروب شمس آخر يوم من رمضان، وقيل: طلوع فجر يوم من رمضان، وقيل : طلوع فجر يوم العيد، وقيل : تجب بالغروب والطلوع معًا فمن ولد بعد الغروب ومات قبل الفجر لا تجب عليه.

ثالثًا : الأنواع التى يصح إخراج زكاة الفطر منها :

وبمجموع الأحاديث والروايات الواردة فى زكاة الفطر والأنواع التى يصح أن يخرجها المسلم منها يتبين لنا أنها ثمانية أنواع. القمح والشعير والتمر والزبيب والأقط والسلت[1] والدقيق والسويق، وهناك ستة أصناف لا خلاف بين الأئمة فى جواز إخراج زكاة الفطر منها وهى : القمح والشعير والتمر والزبيب والأقط والسلت.

أما بالنسبة للدقيق والسويق ففيهما خلاف، فعند مالك والشافعى لا يجوز إخراجها منهما، لعدم ذكرهما فى الأحاديث الصحيحة، ولأن منافعهما قد نقصت، وقال أبو حنيفة وأحمد بجواز إخراجها منهما وإن كان فى الأحاديث الواردة مقال إلا أنها لكثرة طرقها يعضد بعضها بعضًا.

(١) السلت : بضم السين وسكون اللام نوع من الشعير يشبه الحنطة فى ملامسته ويشبه الشعير فى طبيعة..

بل يجوز إخراجها من غير هذه الأصناف إذا تعين قوتا، بل قال الشافعية: كل ما يجب منه العشر فهو صالح لإخراج الفطرة منه.

وقد نقل النووى رحمه الله الإجماع على جواز البر والزبيب والتمر والشعير إلا خلافا فى البر لمن لا يعتد بخلافه، وخلافا فى الزبيب لبعض المتأخرين وكلاهما مسبوق بالإجماع. وأما الأقط فأجازه مالك والجمهور، ومنعه الحسن، واختلف فيه قول الشافعى ، قال ولم يجز عامة الفقهاء إخراج القيمة، وأجازه أبو حنيفة .. وجنس الفطرة كل حب وجب فيه العشر، ويجزىء الأقط على المذهب، والأصح أنه يتعين عليه غالب قوت بلده.

والثانى : يتعين قوت نفسه.

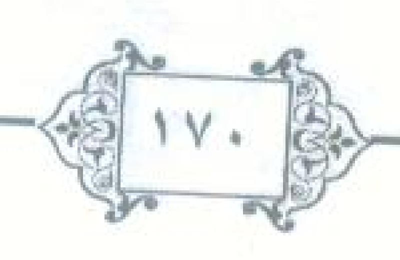
والثالث : يتخير بينهما ، فإن عدل عن الواجب إلى أعلى منه أجزأه، وإن عدل إلى ما دونه، لم يجزه . أ. هـ. من النووى .

رابعاً : القدر الذى يجب إخراجه :

وردت أحاديث وروايات تحدد القدر الواجب على المسلم أن يخرجه وهو صاع ، إلا ما ورد فى شأن الحنطة والزبيب. أى أن العلماء قد أجمعوا على وجوب الصاع فى غير حنطة أو زبيب، أما فى الحنطة والزبيب فعند الشافعى ومالك والجمهور يجب أن يخرج

صاعا، وعند أبى حنيفة نصف صاع، الحديث معاوية فيما رواه مسلم عن أبى سعيد الخدرى قال : كنا نخرج إذا كان فينا رسول الله (ﷺ) زكاة الفطر عن كل صغير وكبير حر أو مملوك صاعا من طعام أو صاعا من أقط أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو صاعا من زبيب. نخرجه حتى قدم علينا معاوية بن أبى سفيان حاجا أو معتمرا فكلم الناس على المنبر فكان فيما كلم به الناس أن قال : إنى أرى أن مدين من سمراء الشام ـــ وهى القمح الشامى ـــ تعدل صاعا من تمر فأخذ الناس بذلك".

ولكن الجمهور استدلوا بحديث أبى سعيد: "كنا نخرج زكاة الفطر صاعا من طعام أو صاعا من شعير أو صاعا من تمر أو صاعا من أقط أو صاعا من زبيب" والطعام فى عرف أهل الحجاز اسم للحنطة، وأما حديث معاوية الذى استدل به القائلون بنصف صاع، فقد أجاب عنه الجمهور بأنه قول صحابى، وقد خالفه أبو سعيد وغيره ممن هو أطول صحبة، أعلم بأحوال النبى (ﷺ) ، وإذا اختلف الصحابة لم يكن قول بعضهم بأولى من بعض فنرجع إلى دليل آخر، وقد وجدنا ظاهر الأحاديث والقياس متفقين على اشتراط الصاع من الحنطة كغيرها فوجب اعتماده، وقد صرح معاوية بأنه رأى رآه لا أنه سمعه من النبى (ﷺ) أ.هـ. من النووى.

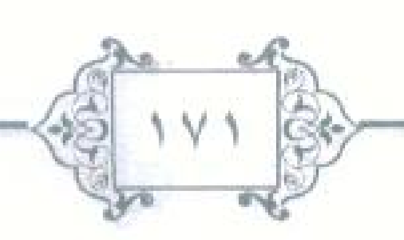


خامساً : وقت اخراجها :

أما عن وقت اخراجها فقد روى مسلم عن عبدالله بن عمر أن رسول الله (ﷺ) أمر بزكاة الفطر أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة أى قبل الخروج إلى صلاة العيد وبعد أداء صلاة الفجر، وقد ذهب الجمهور إلى استحباب ذلك، وقد ورد أن الرسول (ﷺ) سئل عن قول الله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى﴾. فقال : نزلت فى زكاة الفطر.

وفيما رواه أبو داود وابن ماجه: "فمن أداها قبل الصلاة فهى زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهى صدقة من الصدقات". بمعنى أنها لا تعتبر زكاة بل صدقة من الصدقات، وقال الجمهور: إنها تجزئ إلى آخر يوم الفطر: ويحرم تأخيرها عنه بلا عذر، واتفق العلماء على عدم سقوطها بالتأخير فى حق من وجبت عليه بل تصير دينا.

وأما تقديمها على العيد : فعند الشافعى يجوز تقديمها من أول الشهر، وعند مالك وأحمد لا يجوز التقديم عن يومين قبل العيد، ويجوز دفعها إلى جنس واحد من أنواع مصارف الزكاة، وقال الشافعية: يستوعب المزكى الأصناف الثمانية إن كانوا موجودين وإلا فتقسم على من وجد منهم.



فضل العمرة فى رمضان

روى الإمام مسلم بسنده عن ابن عباس أن النبى (ﷺ) قال لامرأةٍ من الأنصار يقال لها أم سنان : ما منعك أن تكونى حججت معنا؟ قالت: ناضحان كانا لأبى فلان "زوجها" حج هو وابنه على أحدهما وكان الآخر يسقى عليه غلامنا. قال : فعمرة فى رمضان تقضى حجة أو حجة معى.

للعمرة منزلة عالية، وثواب كثير، ولها من النتائج والثمرات ما يكفر الله تعالى به الذنوب، ويفيض على المسلم الخير، فعن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله (ﷺ) "تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفى الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة" رواه الترمذى وابن خزيمة وقال الترمذى : حديث حسن صحيح.

كما جعل الله تعالى العمرة إلى العمرة تكفر الذنوب التى بينهما فقال (ﷺ) : "العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة". رواه البخارى ومسلم.

وإذا كان للعمرة هذا الثواب، وتلك المنزلة، فإنها حين تكون فى رمضان تعدل حجة ، فقد أعلم الرسول (ﷺ) أم سنان الأنصارية



أن العمرة فى رمضان تعدل الحجة فى الثواب، وليس معنى هذا أنها تقوم مقامها فى إسقاطها الفرض، فقد انعقد الإجماع على أن الاعتمار لا يجزئ عن حج الفرض.

ونقل الترمذى عن إسحاق بن راهويه أن معنى الحديث نظير ما جاء "أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن".

وهذا من فضل الله تعالىٰ وإحسانه، وإنعامه على عباده الصالحين حيث جعل للعمرة التى تكون فى رمضان من الثواب ما يوازى ثواب الحج، لأن العبادات، وعمل الطاعة يزيد بزيادة مكانة الوقت وشرفه، كما يزيد الثواب عليه بمدى الإخلاص فيه، وحسن القصد، وحضور القلب، وقيل : يحتمل أن يكون المراد عمرة فريضة فى رمضان كحجة فريضة وعمرة نافلة، وقال ابن التين: قوله: "كحجة" يحتمل أن يكون على بابه، ويحتمل أن يكون لبركة رمضان، ويحتمل أن يكون مخصوصا بهذه المرأة. والظاهر حمله على العموم لكل مسلم، فالله ذو الفضل العظيم.

ما يؤخذ من الحديث :

١- فضل العمرة وما لها من ثواب، وما يترتب عليها من مغفرة الذنوب.



٢- منزلة العمرة فى رمضان وأنها تعدل فى الثواب حجة، أو حجة مع النبى (ﷺ).

٣- أن العمل يزيد ثوابه بزيادة شرف وقته.

٤- قال ابن خزيمة : فى هذا الحديث أن الشىء يشبه الشىء ويجعل عدله إذا أشبهه فى بعض المعانى لا جميعها ولأن العمرة لا يقضى بها فرض فى الحج ولا نذر.



فهرس

٢٠٠١/١١٩٣٨

I. S. B. N 977- 01- 7380 - 6





بين الحلم والواقع كانت مسافة زمنية ربما بدت لى طويلة أو مختلفة ولكن الأهم أن الحلم أصبح واقعًا ملموسًا حيًا يتأثر ويؤثر، وهكذا كانت مكتبة الأسرة تجربة مصرية صميمة بالجهد والمتابعة والتطوير، خرجت عن حدود المحلية وأصبحت باعتراف منظمة اليونسكو تجربة مصرية متفردة تستحق أن تنتشر فى كل دول العالم النامي وأسعدنى انتشار التجربة ومحاولة تعميمها فى دول أخرى، كما أسعدنى كل السعادة احتضان الأسرة المصرية واحتفائها وانتظارها وتلهفها على إصدارات مكتبة الأسرة طوال الأعوام السابقة.

ولقد أصبح هذا المشروع كيانًا ثقافيًا له مضمونه وشكله وهدفه النبيل. ورغم اهتماماتى الوطنية المتنوعة في مجالات كثيرة أخرى إلا أننى أعتبر مهرجان القراءة للجميع ومكتبة الأسرة هى الإبن البكر، ونجاح هذا المشروع كان سببًا قويًا لمزيد من المشروعات الأخرى.

ومازالت قافلة التنوير تواصل إشعاعها بالمعرفة الإنسانية، تعيد الروح للكتاب مصدرًا أساسيًا وخالدًا للثقافة، وتوالى «مكتبة الأسرة» إصداراتها للعام الثامن علي التوالى، تضيف دائمًا من جواهر الإبداع الفكرى والعلمى والأدبى وتترسخ على مدى الأيام والسنوات زادًا ثقافيًا لأهلى وعشيرتى ومواطنى أهل مصر المحروسة مصر الحضارة والثقافة والتاريخ.

سوزان مبارك



مكتبة الأسرة 2001

مهرجان القراءة للجميع

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب